

# قلوب لاتعرف الخوف

مؤالمة

تألف

رففق أبو حسن

## طبعة ٢٠١٩

أبو حسن، رفيق

قلوب لاتعرف الخوف: رواية /رفيق أبو حسن؛ - الجيزة: أطلس للنشر  
والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٨ .

١١٢ ص، ٢٠ سم

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٣٩٩ ٦٩٩ ٤

١- القصص العربية

أ- العنوان

٨١٣،٠٨٧١

# قلوب لاتعرف الخوف

رواية

تأليف

رفيق أبو حسن



الكتاب : قلوب لاتعرف الخوف

المؤلف : رفيق أبوحسن

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

sales@atlasdic.com

[www.atlas-publishing.com](http://www.atlas-publishing.com)

تليفون: ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس: ٣٣٠٢٨٣٢٨

\*\*\*\*

رئيس مجلس الإدارة  
سرمانى محمد

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة  
ع. م. م. م.

الإشراف  
ع. م. م. م.

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٨/١٩٥٠٩

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٢٩٩-٦٩٩-٤

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٩

## مقدمة

### لرواية "قلوب لا تعرف الخوف"

توراىخ الشعوب مليئة بالأحداث الخفية على الكثير من العامة. وهنا يأتي دور الرواه ليستشفوا الأحداث الخفيه ويستشهدوا بما يقع تحت ايديهم من مستندات ووقائع وكتب لمؤرخين عظماء فمثلاً

يقولون إن مملوكاً "واحداً نجى من مذبحة القلعة، لكن هناك مملوكاً آخر بل بطل آخر من أبطال الممالك، واسمه مسجل في التاريخ بحروف من نور ولكن

للأسف لا يعرف أحداً عنه الكثير

من هو؟

ماذا فعل؟

هذا ما سوف نعرف تفاصيله في روايتي

((قلوب لا تعرف الخوف))

تعليقاً على الرواية بقلم الناقد الكبير والشاعر سيد فاروق

الخطاب الروائي بين السلاسة والبعد التاريخي في رواية

((قلوب لا تعرف الخوف))

للكاتب الروائي رفيق أبو حسن



# الفصل الأول

في كل رواية أرويها لكم كنت أعلم من أين أبدأ، لكن هذه الرواية بدايتها مشهد عظيم حيث أن المشهد متداخل في هذه المدينة.

إنها مدينة رشيد

بوابات المدينة قد أغلقت وبلاحرس والمحال

والأسواق تنفض والناس تهرول إلى البيوت والأطفال الذين دائماً تمتلئ بهم شوارع رشيد قد اختفوا أيضاً ولكن هناك فارس على جواده قادم إلى وسط المدينة ومعه حراس وقد أوقفته امرأة عجوز ومعها فتى حديث السن ويتحدثون.

دعونا نقرب منهم لنسمع ما يقولون المرأه موجهة حديثها للفارس...يا علي يا سلانكي ... يا علي يا سلانكي أحد الحراس.. تأدبي يا امرأة وأنتِ تحدثين علي بك حاكم رشيد علي بك...دعها أيها الحارس نزل علي بك السلانكي حاكم رشيد من على جواده ووقف أمام المرأة وقال لها.. ماذا تريدين من السلانكي يا أماه



مع صغر سنه لكنه مفتول العضلات وكيف يكون غير ذلك وهو  
من ابناء رشيد الأبية تلك الأرض التي أنشأها فيضان نيل  
مصر العظيم

ويسأل علي بك الفتى ناصر...هل تجيد استعمال البندقية  
يا ناصر.

ناصر.. أستطيع استعمال السيف سيدي علي بك.

علي بك.. حسناً ولا تقل سيدي فلا سيد إلا سيد الخلق

ينادي علي بك علي الناس ينادي بنفسه علي أهل رشيد  
ويقول.. يا أهل رشيد جنود إنجلترا على أبواب مدينتكم..  
الله الله على الثبات.. الله الله على الجماعة...الله الله على  
التقوى.. أخلصوا النيه وعليكم بالسرية فيما اتفقنا عليه.

ويأمر الحرس بفتح أبواب المدينة وتركها دون حراسة  
ويأخذهم ويختبئ بفرسه بين الأزقة والحارات ومعه ناصر لا  
يفارقه كظله وتصمت المدينة

وما هي إلا ساعات قليلة حتى دخل من البوابات عسكر  
كشافه من جيش فريزر ليجدوا المدينة خاوية وكأنها مدينة  
الأشباح فيتجولون فيها ويكسرون بوابة أحد المحال ونهبوها  
ولم يجدوا أحدا ليوقفهم فعادوا إلى فريزر يحكون له فأدرك

فريز أن أهل المدينة وعلي بك السلانكي إمّا هربوا وتركوا  
المدينة أو أرادوا التسليم بلا حرب ولا دماء.

انفجرت أسارير فريزر وقال في نفسه كنت أظن أنها  
ستكون حرباً طاحنة وما هي إلا نزهة.

فأمر فريزر نصف الجند بالدخول إلى المدينة ويأتون بعلي  
بك إلى المعسكر ليسلم مفاتيح رشيد صاغراً فانطلق نصف  
الجيش ودخل رشيد بلا مقاومة.

يعود المشهد إلى عليّ بك وقد نزل من على صهوة جواده  
وأعطي لجام الفرس ليد ناصر وقال له يا ناصر كما اتفقنا.  
فيقول ناصر دعني أنا أذهب يا علي بك.

علي بك.. لا تخف يا ناصر فقلوبنا ملؤها الإيمان ولا  
نعرف الخوف.

وينطلق علي بك مسرعاً ناحية المسجد وفي الطريق يقابله  
عسكر فريزر ويوقفه أحد الجند...انتظر يا رجل يقف علي بك.

الجندي.. إلى أين أنت ذاهب؟

علي بك.. إلى المسجد

الجندي.. لا مسجد، هيا اذهب.



ولما وصل إى باب المسجد كان علي بك قد نزل من أعلى  
المئذنة فقفز على جواده واخذ اللجام من ناصر وانطلقا سوياً  
يحميان ظهور بعضيهما يصلون ويجولون في جند فريزر يقتلون  
فيهم حيث قد اخذتهم المفاجئة ولم يحسب أحد حساب ذلك  
الكمين والأهالي يشاركون في الضرب شيخ ورجل امرأة وفتاه  
صغير وكبير حتى اعلنت باقي الفرقة التسليم فأمر علي بك  
بوقف الضرب والشوراع والحواري قد ملئت بالقتلى والجرحى  
ومن نجا أصبح أسيراً هلك المصريون فرحاً بذلك الانتصار  
السريع.

لكن فريزر وصله الخبر فجن جنونه فأمر بنصب المدافع  
تجاه مدينة رشيد ليثار لهزيمته النكراء.



# الفصل الثاني

## الدرب الأحمر

- علي بك... جهز نفسك يا ناصر محمد علي وإلى مصر أرسل لنا لمؤازرة الجيش المصري لفتوحاته.
- ناصر.. يا أخي ألا ترى أن هذا الأمر مريب.
- علي بك.. لماذا يا ناصر وقد دعانا وإلينا لنكون في مقدمة الجيش للاستعراض فقط وهي فرصه ليعلم أهل مصر أن الممالك مازالوا قادرين.
- ناصر.. لا أدري يا أخي ولكن هي فطنة أهل البلد فأنت تعرف المصريين يفكرون في كافة الاحتمالات.
- علي بك... الست منكم يا ناصر.
- ناصر... بل أنت والي رشيد وأخينا ودمأوك مصرية أخي.
- ابتسم علي بك السلانكي وناصر وامتدت أيديهما للعناق
- ناصر... سأذهب إلى أمي لأبلغها فأنت تعلم أنها وحيدة وليس لها إلا أنا

في هذه الأثناء دخلت أم ناصر وقالت... بعث لي ليه يا  
علي يا سلانكي

- ناصر... يا أماه لا تناديه هكذا فالرجل أكرم ابنك وأنتِ  
تناديه باسمه أمام الحراس والخدم

- أم ناصر... أنت مالك يا واد أنت هو حد اشتكالك أنا حرة  
مع ابني.

يضحك علي بك السلانكي ويقول... دعها يا ناصر تقول  
ما تشاء فقد أحسببتها أمي

- أم ناصر... سامعه أن محمد علي بعث ليك يا سلانكي.

- ناصر.. وعرفتي دي كمان

- أم ناصر... انا أعرف أكثر منك أنت وهو يا وله.

- علي بك... شايفة إيه يا أمي؟

- أم ناصر... هاقولك لكن اللي هاقوله تنفذه بالحرف أنت وهو

- علي بك وناصر معاً.. قولي يا أم ناصر سامعين

- أم ناصر... أنت وناصر تروحوا من غير حراسه لوحدكم  
وتروحوا متأخرين شوية

- ناصر... ازاي يا أمي ده كده نبقى تخلفنا عن الموكب.
- أم ناصر... اسمع اللي باقول عليه وبس وأنت حر وأكملت لو الجيش طلع من بوابة الفتوح تستنوه على الباب وتبقوا كده أول المشهد وتثبتوا وجودكم
- علي بك... وماذا بعد يا أماه؟
- أم ناصر... لو الجيش مطلعش أوعي حد يدخل البلد فيكم أبداً واستتوا تعرفوا إيه اللي بيحصل ولو عايزين تدخلوا ابقى أدخلوا تجار عاديين من أي باب تاني غير البوابات العمومية أحسن أنا حلمت لكم حلم وحش
- ناصر.. رأييت سيدي حتى أمي تخاف من تلك الزيارة.
- علي بك... خايف يا علي
- ناصر...عليك يا والي رشيد فأنت تعلم فمثلنا لا يهاب الموت في سبيل الله وقلبي كقلبك لا يعرف الخوف
- علي بك.. لا تخشى يا ناصر فإننا لله. جهز نفسك سنرحل فجر اليوم.
- وفي فجر اليوم التالي قام علي بك وناصر بالخروج من مدينة رشيد الباسلة متوجهين إلى المحروسة قاصدين القلعة

ولكنهم لبسوا ملابس تجار وأخفوا مسدساتهم والبارود في جيوب خفيه في سرج الجوادين، وبعد عناء السفر وصلا إلى أبواب المدينة فوجدا الأبواب كلها مغلقة

- فقال ناصر... يا علي بك قلبي غير مطمئن.

- علي بك... لا تخشي شيئاً « فقد جهزت أوراق المرور من البوابات على أننا من تجار رشيد حتى نصل إلى القلعة وبعدها نرى ماذا يحدث فإن في الأمر شيء لا أفهمه. كيف تكون أبواب المحروسة كلها مغلقة

- ناصر.. ما رأيك سيدي أن ندخل من باب اللوق

- علي بك.. هيا

دخل علي بك وناصر من باب اللوق حيث أن هذا الباب كان مخصص للتجار آن ذاك وحينما اقتربوا من من القلعة قال علي بك... اذهب يا ناصر واسأل من أي باب سيخرج الجند لنتظرهم

ناصر.. السمع والطاعة أخي.

ذهب ناصر وقبل أن يرتاح علي بك رجع ناصر إليه بالأخبار.

- ناصر... علي بك الجيش سيخرج من باب العزب.
- علي بك... باب العزب طريق صخري ضيق ومنحدر.
- ناصر... ماذا تري اخي؟
- علي بك...إن كانت ظنون أمننا أم ناصر صحيحة فإنها مكيدة.
- ناصر ..لنرجع إذا سيدي
- علي بك... ما هي إلا ظنون تعالي يا ناصر لنقف ننتظر الجيش عند باب العزب فور خروجهم ننضم إليهم ونكون في مأمن
- ناصر.. لك ذلك
- وقف علي بك وناصر على مقربة من باب العزب وهم على هيئتهم كأنهم ما زالوا تجاراً وها هم يرون مقدمة الجيش تهبط على الطريق المنحدر
- مقدمة الجيش من المصريين والصف الثاني قاده المماليك يتقدمهم شاهين بك الألفي وسليمان بك البواب.
- وما أن وصلوا باب العزب حتى أغلقت الأبواب. واستدار مقدمة الجيش إلى المماليك وأمطروهم بالرصاص ومن فوق

الأسوار الحرس يمطرونهم بوابل من الرصاص وباقي الجيش  
من خلفهم. إنها مذبحة بما تعنيه الكلمة.

الماليك بالداخل يذبجون وعلي بك السلانكي ينادي على  
أخوانه بالداخل والدموع تنهمر من عينيه كشلال لا ينقطع.

علي بك السلانكي...تسلق السور يا شاهيييين

ويأتيه صوت شاهين من خلف البوابة.... اهرب يا علي  
اهرب يا عليّ. شاهين تعرف على صوت أخيه عليّ السلانكي  
وعلي بك على ظهر جواده والجواد كأنه يدوس على جمر  
فعندما يسمع جواد علي بك الرصاص يتذكر الأمجاد عندما  
كان يصل بين جنود فريزر ويستعد للكر والفر

ناصر... هيا يا أخي لنهرب؛ إنها مذبحة.

علي بك... اترك أخوتي يا ناصر؟

يهم علي بك بأن يخرج مسدسه فيقسم عليه ناصر ألا  
يفعل فليس من الحكمة أن يرمي بنفسه إلى التهلكة.

وفي هذه الأثناء يتسلق شاهين بك الألفي أسوار القلعة  
حتى وصل إلى القصر على مرأى من ناصر وعليّ بك ولكن  
عاجله الحرس بوابل من الرصاص فأردوه صريعاً مدرجاً في

دمائه ثم قطعوا رأسه وذهبوا بها إلى محمد علي ليأخذوا الهبات.

أما سليمان بك البواب فقد تسلق حتى وصل إلى سرايا الحريم وهو مقر نساء الوالي يستصرخهم ويقع في عرضهم فقد جرت العادة أن من يقع في عرض حريم القصر يغفر له ولا يمس مهما فعل من ذنب لكن الجنود قتلوه على اعتاب السرايا على مرأى ومسمع من النساء والجواري ومزقوه تمزيقاً وقطعوا رأسه وألقوا بجثته في الرحبة الوسطى.

وأما من استسلم وآسر فقد تم اقتياده إلى الرحبة الوسطى وتم إعدامه بضرب عنقه بالسيف.

وفتحت الأبواب ونزل الحراس إلى الطرقات في المحروسة يقتلون ما تخلف من المماليك في الطرقات وفي بيوتهم ينهبون ويسرقون كل شيء حتى المحال.

وبالعودة إلى عليّ السلانكي وناصر فالموقف كان أكبر من الاستيعاب فها هم يسرون في إحدى الدروب ليجدوا الأرض مخضبة بالدماء والجثث حتى أن الدرب أصبح لونه أحمر؛ لذلك سمي الدرب بهذا الاسم من يومها ((الدرب الأحمر))





## الفصل الثالث

### حسن الذوق

علي بك السلانكي تغلي الدماء في عروقه كيف لمحمد عليّ أن  
يقوم بتلك المذبحة للمماليك وهم من أجلسوه على عرش المحروسة  
ووقفوا أمام الباب العالي وتحذوا الخليفة العثماني وقتها  
ناصر...علي بك هون عليك.

علي...قتلوا أصدقائي وأخواني أمام عيني يا ناصر وبلا  
شفقة ولا رحمة.

ناصر... علينا بالإسراع في الخروج يا عليّ بك قبل أن  
ينتبه محمد علي أنك تخلفت إما في قصر محمد علي بالقلعة  
يجلس ذلك الرجل البدين على أريكته وأبخرة الدخان كالضباب  
من حوله هو وحاشيته ثم يقترب أحد الجند منه ويقول له أن  
المحروسة تعيش الرعب الآن فقد كثرت السرقات ونهبت البيوت  
والمحال ولم يبقَ من المماليك أحداً على قيد الحياة.

فيقول له محمد علي .... واهل مصر ما حالهم الجندي..  
لا يجدون من يحميهم سيدي.

يضحك محمد علي ويقول... الآن نزل إلى سكان المحروسة  
نزل محمد علي من القلعة ومعه الحرس والجنود ونادى منادي  
في الناس بأمر من والي مصر محمد علي أن من يقبض عليه  
بسرقه أو أي تهمة يقتل في الحال

يتجول محمد علي في أرجاء المحروسة وقد استتب الأمن  
بنزوله وجيشه إلى الشوارع أو هكذا خيل لأهل المحروسة فهلوا  
للأمن والأمان ونسوا أن محمد علي هو من قتل المماليك وجنده  
هم من نهبوا البيوت

وأثناء سيره يقول له أحد الحرس...مولانا الوالي هناك  
أمر أريد إطلاعك عليه

- محمد علي.. ألي به

- الحارس.... نجى من القتل أمين بك قفز من فوق القلعة  
بحصانه وإبراهيم بك تخلف عن المجيء وهو الآن في طره  
وقد وصله الأمر فهرب إلى السودان

- محمد علي... لا يهم من يهرب خارج مصر لا خوف منه  
المهم أنه لا يوجد مماليك في مصر.

- الحارس... هناك أمر آخر.

- محمد علي... أسرع وإلا قتلتك بيدي قلّ.

- الحارس.. أثناء المذبحة سمعنا شاهين بك يقول اهرب يا علي ورأى أحد الحراس تاجران بقرب باب العزب من الخارج ينادي أحدهم على شاهين بك قبل أن يقتل ويحرضه على الهروب.

صمت محمد علي قليلاً وأخذ يفكر ثم فزع وهو على ظهر فرسه قائلاً... عليّ السلانكي حاكم رشيد لم تأتوني برأسه. إنه عليّ السلانكي في المحروسة

كلف محمد علي الجند بالبحث عن علي بك السلانكي وتابعه الذي لا يعرف أحد اسمه.

فيتفرق الجند في الطرقات يبحثون ويسألون المارة عن تاجرين على جوادين

أما عليّ السلانكي وناصر قررا أن يخرجوا من باب الفتوح مع المارة وقد عاهد ناصر علي بك السلانكي على الأخذ بالثأر مهما كان.

الحرس أمروا بغلق الباب أمامهم فقد اكتشف أمرهم وفي هذه الأثناء يظهر فارس على ظهر جواده الأبيض من العدم ليقف وسط بوابة الفتوح ويمنع الحرس من إغلاقها

الزهور عم الجميع من حرس ومارة إلا علي بك وناصر  
فقد استغلا انشغال العامة بالفارس وانطلقا بجواديهما يجتازون  
البوابة وفور خروجهم يختفي الفارس في غفلة من الجميع الذين  
انشغلوا من جديد بهروب عليّ بك وناصر.

- علي بك.... أسرع يا ناصر.

- ناصر.... أنت في الاتجاه العكسي سيدي.

- علي... أعلم ذلك يا ناصر فرجال محمد علي سيفتشون  
الطرق المؤدية إلى رشيد لذلك نحن سنختبئ في جبل المقطم  
بجوار المحروسة فلن يتوقع أحد أننا بالجوار وبالفعل يختبئ  
ناصر وعلي بك في مغاره بالمقطم

جني الليل عليهم واستعدوا ليبيتوا الليلة في باطن الجبل  
وسط الوحوش والثعابين

ناصر.... أرقد يا علي بك فالطريق أماننا طويل ولا نعلم  
ماذا سيحدث؟

عليّ بك.... يضح عليّ جانبه ويقول اللهم إني استودعتك  
زوجتي وعيالي قبل الخروج فأسألك اللهم أن ترد لي وديعتي  
سألة.

وبينما هو يغط في نوم عميق بسبب ما لاقاه من قبل حتى جاءته أم ناصر في منامه تساييره ثم قالت انهض يا علي فالضبع علي باب المغارة يفرع علي بك من نومه فيجد ضبعاً «متأهباً» للانقضاض عليهم وهم نيام ففرع ناصر أيضاً، فقد وقف علي بك بسرعة ويده سيفه وأخذ ناصر مسدسه لكن علي بك قال لا تطلق البارود حتى لا يعلم بمكاننا أحد وانطلق علي بك بسيفه الذي رفعه لأعلى في الهواء باتجاه الضبع وانقض الضبع في تلك اللحظة فما كان من علي بك إلا أنه قال بسم الله ولا حول ولا قوة الا بالله والتقي سيف علي بك برأس الضبع وسري السيف في جسد الضبع وكأنه تحول إلى زبد يشقه السيف نصفين إلى أن وصل إلى ذيل الضبع

- ناصر.... الله الله سلمت يداك مولاي والله ما عاهدتك إلا بطلاً مقدام.
- علي بك... وما عاهدتكم أخي وأمي إلا أولياء.
- ناصر... من هم الاولياء أخي.
- علي بك...من أيقظني من النوم هي أمنا أم ناصر وحكي له كيف أنقذته وقال له أتدري من الفارس الذي وقف أمام البوابة لنهرب؟

- ناصر.... من يا أخي؟
- علي بك.... قالت لي أمك أنه سيدي حسن الذوق ذلك  
الرجل الطيب الذي هو مدفون تحت بوابة الفتوح
- ناصر.... الله أكبر
- علي بك.... قد علمت ذلك من أمنا يا ناصر تلك المرأة  
الطيبة التي وهبت وحيدها يوم الحرب على الإنجليز  
برشيد.



## الفصل الرابع

### ليسوا مصريين

يجلس علي بك في المغارة هو ناصر والحزن هو الأنيس الوحيد، وبينما ناصر نائم حيث إنهما اتفقا أن يناموا بالتبادل يري علي بك ذلك الفارس على جواده من جديد أنه سيدي حسن الذوق وقد دنى منه بعد أن نزل من على الجواد وقال .... يا سلانكي ما يحزنك؟

علي بك.... زوجتي واولادي يا مولانا لا أدري ماذا سيفعل بهم وقد أمر محمد علي بسلب الأموال من المماليك وحتى نسائهم يؤخذون سبايا؟

الذوق... لا تخف يا علي هم في أمان علي بك... هل يرضيك ما فعله جند مصر بنا يا سيدي حسن الذوق بغضب.... جند مصر ليسوا قتلة يا سلانكي واحذر أن تظلم أهل مصر،  
قالها وانصرف حسن الذوق.

- ناصر... مع من تتكلم يا علي بك؟

- علي بك.... مع عبد من عباد الله يا ناصر فلا تشغل.

- ينظر ناصر إلى علي بك وفي نفسه حزن عليه، ويقول...  
هل أثرت المذبحة عليه لدرجة أنه يتخيل!!!
- علي بك... يا ناصر أريد أن أكلفك بمهمة.  
- ناصر... رهن إشارتك.  
- علي بك.... حتى لو كانت فيها نهايتك؟  
- ناصر...عاهدتك يا أخي أنه لا يفرقنا إلا الموت.  
- علي بك...سأرسلك إلى القلعة.  
- ناصر...القلعة  
- علي بك... نعم رسالة شفوية إلى أمينة هانم نصر لي  
زوجة محمد علي  
- ناصر...وما هي الرسالة أخي؟  
- علي بك... قل لها عاهدانكم ووفينا فما كان منكم إلا  
الغدر، تتامون مطمئنون وأهلونا ونسائنا تكالى وحرمت  
علينا مضاجعنا فإن رضيت به نرضى  
- ناصر... وبعد علي بك  
- علي بك... وقل لها السلانكي يستحلفك بالله أن تجيبه  
هل أشترك أهل مصر أو جندهم في المذبحة.

- ناصر... وكيف سأقابل زوجة الوالي؟

- عليّ بك... خذ هذا الخاتم وادعي أنك جئت به هدية  
لزوجة الوالي من رشيد.

امتلل ناصر لأوامر أخيه علي بك وركب حصانه وعاد إلى  
القلعة بعد أن ودعه عليّ بك وحثه على الانتباه لنفسه.

اقترب ناصر من أبواب القصر وقال للحارس أن معه أمانة  
يجب أن يوصلها بنفسه إلى أمينة هانم.

فتحت له الأبواب وطلب الحارس الإذن بالدخول على زوجة  
الوالي ومعه ناصر فأذن لهما.

وفور مثلولهما أمامها قالت:

أمينة هانم... ما هي الأمانة أيها التاجر؟

ناصر.... هدية من رشيد يا مولاتي.

تقدم ناصر وأعطي الخاتم لأمينة هانم ومكتوب عليه  
السلانكي

فنظرت إلى الحارس وقالت اذهب وانتظر خارجاً

ثم قالت لناصر... هذا خاتم عليّ السلانكي هل مات بطل

رشيد؟

ناصر..... حي يا مولاتي ومعى رسالة شفوية

وقال لها على نص الرسالة وهو يتلوها وأمينة هانم في

بكاء شديد

وبعد أن انتهى أمرت له بألف أوقيه ذهب وقالت له:

قل لعلي والله لا نرضى فكما حرمك من زوجتك فقد

حرمت عليه نفسي إلى مماتي، وهذا عهد أمامك أيها التاجر

لتكون شاهداً عليّ أمام الله.

أمّا أهل مصر وجندهم فلم يشتركوا ولا علم لهم وأقسم

بعهدي مع الله لا نحن ولا ابناءنا نعلم بتلك الفجيعة ثم قالت

إليك أسماء القتلة وأبلغهم لصاحبك.

الرأس المدبر كتحدا محمد لاطوغلي باشا نائب محمد

علي وذراعه الأيمن

وحسن قومندان وصالح قوش قومندان

إبراهيم أغا الحارس المسئول عن باب العزب

والجند هم مرتزقة أرناؤوط وألبان

وكلمة السر كانت طلقة أطلقها صالح قوش في الهواء.

- ناصر... شكراً مولاتي ويأخذ الإذن بالانصراف ويرجع خفيه إلى علي بك السلانكي محملاً بالمؤن ويستقبله علي بك بحفاوة.

- علي بك... حمداً لله على سلامتك أخي الحبيب.

- ناصر... اشتقت لك مولاي.

وينظر ناصر فيجد علي بك قد صاد ذئب كبير ووجه علي بك وذراعه به خدوش كثيره فجلس يقلب في الذئب فلم يجد فيه أثر طعنة أو طلقة، فقال لعلي بك هل وجدته ميتاً، فضحك علي بك وقال بل خنقته بيدي تلك.

- ناصر.... سأمحك الله كدت أن تهلك.

- علي بك.... إنها بركة بسم الله يا أخي.

- ناصر في نفسه.... من أنت علي بك؟ هل أنت مملوك أم أمير أم ولي من أولياء الله؟

فيرد علي بك وكأنه يسمعه... أنا عبدٌ من عباد الله أخي ثم يهرب من الموقف وقال له. احكي لي كيف جئت بكل هذه المؤن وماذا حدث مع أمينة هانم؟

فحكى ناصر ما دار بينهما.

فتهلل وجه علي بك فرحاً، وقال اللهم لك الحمد فعلمي  
أن جند مصر وشعبها ليسوا خونه أو قتله أبداً إنما من يقتل  
فيها هو إما دخيل أو مرتزق يستجلبه الحاكم ليستقوي به على  
أهل المحروسة.

- علي بك...هيا يا ناصر آن أوان الانتقام.

- ناصر...ألن نعود إلى رشيد.

- علي بك... لن أهنأ حتى أنتقم من القتلة، فهيا نسلخ جلد  
الذئب فقد سلخت جلد الضبع وقمت بحيافته ملابس لي.

وبالفعل قاما بسلخ الذئب وقام ناصر بأعمال الدباغة  
وبعدها قام علي بك بحيافته، وما هي إلا ايام معدوده قضاها  
علي بك وناصر بالمغارة حتى كانت ملابسهم من جلود الوحوش  
قد انتهت وقاموا بلبسها حتى الجماجم صنعوا منها واقى  
للرأس وها هم على ظهر جواديهما حين تقع عينك عليهم  
لا ترى إلا وحشين يركبان جوادين ضبع وذئب وانطلقا وأثناء  
سيرهما قال ناصر.... كيف سندخل من البوابات.

علي بك.... ما عليك عند الوصول إلى البوابة إلا أن تغمض  
عينيك واول ما تسمعني أقول بسم الله لا حول ولا قوة الا بالله  
ردد ورائي وانتظر حتى أقول لك افتح عينك

تعجب ناصر من كلام علي بك ولكن هو عهد اتخذه على نفسه بالسمع والطاعة. وقبل ان يصلوا إلى البوابات بمسافة بعيدة قال علي بك.. أغمض عينك فأغمض ناصر عينه.

قال علي بك...بسم الله لا حول ولا قوة الا بالله

فردد ناصر وراءه ولكن ناصر أحس بأن الجواد تحته لم يتقدم خطوه وقال علي بك افتح عينك.

فتح ناصر عينه فوجد نفسه قد تجاوز البوابة بمسافة كبيرة الحيرة تعلوا وجه ناصر كيف اخترق الحرس والبوابة ومشى كل هذه المسافة في وقت قصير جداً.

علي بك..... لا تسأل عن شيء يا ناصر وإن حدثت أحداً عن ذلك فسيكون فراق بيننا.

امثل ناصر كعادته وقال من أين نبدأ علي بك؟

علي بك...نغسل الدرب الأحمر من دم المماليك.





# الفصل الخامس

## أشباح المماليك

يتقدم علي بك السلانكي في وقت دخول الظلام على المحروسة ويتبعه ناصر والمنظر أشبه بوحشين يمتطيان جوادين ضبع وذئب يتوجهان إلى باب العزب

وهاهو عم معروف يحمل المشعل لينير به فوانيس الطرقات وكلما أشعل فانوساً في حارة قال.... يا نوووور اللللللله

كانت المحروسة القديمة بيوتا وقصوراً من الأحجار العملاقة وهنا في هذه الدروب حيث عبق التاريخ تري إطلال بوابات للحارات حيث أن نابليون ومن بعده كليبر قد أمروا بهدم تلك البوابات وقت الغزو الفرنسي على مصر (((لا يصح أن يطلق لفظ حملة فرنسية على غزو واحتلال فما كانت مصر في ظلام ليأتيها محتل بحجة التتوير))

المشهد هدوء يلف قصر القلعة.

يتقدم الفارسان على جواديهما وما أن اقتربوا من باب العزب حتى أخرجوا السيوف ورفعوها إلى الهواء وانطلقا يحصدان رؤوس الحامية الألبانية المنوط بها حراسة البوابة.

يصرخ الحراس لا يرون إلا خيالات وحوش تصول وتجول  
بينهم ويسمع صوت ضربات السيوف ونداء الوحشين بكلمة يا  
معييييين وصراخ للحرس إما من الرعب أو من الجروح.

ويشق ناصر طريقه ناحية رئيس الحرس إبراهيم أغا وفي  
غفلة ألقى عليه الحبال فقيده كأنه يلقي الشباك على صيده  
ثم انطلق بجواده كالريح يجر الأغا ومن ورائه عليّ بك بجواده  
وتركوا خلفهم طاقم الحراسة بين قتيل وجريح.

انطلقوا ناحية الدرب الأحمر يجرون خلفهم إبراهيم أغا  
ذلك الجندي الألباني المتأمر حتى وصلا منتصف الدرب  
فضرب علي بك السلانكي عنق إبراهيم أغا وتركوه في الدرب  
عبره وعادوا من حيث أتوا.

وعند الفجر كان الدرب الأحمر يعج بالعسكر الألبان معهم  
لاظوغلي باشا

وبدا حديث العامة

بائع العرق سوس بصوته العذب..... وحد اللللللللللللل

شيخ العطارين..... لا إله الا الله

سيد الإسكافي...سمعت أن فيه وحشين هجموا على حرس

القلعة









- ناصر..... أجهزه حالاً عليّ بك.
- علي بك محدثاً الشيخ نصر.... ناصر يعلم أن أبيه متوفي  
يا شيخ نصر وليس وقته أن يعرف دعه يعرف بقلبه.
- الشيخ نصر.... عرفناه بقلوبنا يا علي بك.
- علي بك مماًزحاً...عرفت ناصر بقلبك يا أشيب الشعر
- الشيخ نصر...بل الله يا علي.. عرفناه بقلوبنا أما ناصر  
فقد استودعته في بطن أمه يوم جئت إلى المحروسه لأناضل  
ضد الفرنسييس مع الشريف محمد كريم  
ثم يقول هذه رسالتك وخذ حذرك والشاب أمانة في عنقك  
أرجعه إلى أمه سالماً.
- يأتي ناصر بالطعام ويأكلون جميعاً وناصر يأكل بتأني  
وعينه على الشيخ يتفحص ملامحه وبعد أن انتهوا من الطعام  
إستأذن الشيخ في الانصراف.
- الشيخ نصر...استودعكم الله
- علي بك...في أمان الله ولا تقطع الود شيخنا.
- ناصر...انتظر يا أبي أوصلك حتى أبواب المحروسة.

لمعت عين الشيخ نصر بالدمع وأخذ ناصر في أحضانه  
وقال استمر في طريقك يا ولدي ولا تنظر خلفك فكلنا لله . قبل  
ناصر يد الشيخ فقد أيقن انه والده ولكن لا يدري كيف ولماذ  
وأين كل ما أدركه أن هذا الشيخ هو أبيه وأن هناك أسرار ولكن  
أمه علمته ألا يسأل حتى يعلم .

ورحل الشيخ نصر وهو يقول.... يا مفارق الأحباب بعد  
اللقاء..... قادر تجمعنا يوم اللقاء ... حبيبي

يفتح علي بك الرسالة ليقرأ المكتوب فيها فلم يجد الكثير

### الرسالة .

... من أمة الله إلى عبد الله

ولغ في الدم ولست مثله

وكرامة لك حرمت على جسده

أهنأ مع اهلك وسأجعل النار تأكل كبده

انتهي

- علي بك... يا ناصر جهز للرحيل سنعود إلى رشيد

- ناصر.... هل انتهيت منهم سيدي

- علي بك بل تركت ورائي فيهم من سيكويهم بالنار .

هيا لننام قليلاً فما هي إلا ساعات فسنرحل عند الفجر .

يصحو عليّ السلانكي قبل الفجر فيقف على باب المغارة  
يستنشق هواء المحروسة وينظر إليها من أعلى المقطم ويودعها  
بالدموع ويقول فيه نفسه انتهى عصر المماليك فهل سينصف  
التاريخ ويخلد ذكرانا؟

ماذا ستقول الأجيال القادمة عنا؟

هل سيذكر التاريخ أننا نحن المماليك الذين هزمتنا التتار  
على أرض المحروسة

هل سيذكر التاريخ أن هذا الجيش كان جيشاً عربياً به  
كافة الجنسيات العربية من شوام وعرب وعجم .

هل سيذكر التاريخ أن المماليك قادوا الحروب ضد أوروبا  
مجتمعة وانتصر

اما سيشوه محمد علي ذكرانا .

يصحو ناصر ويتأمل صاحبه الذي ينظر إلى المحروسة  
ويودعها فيقول ناصر.... علي بك أراك تتأمل المحروسة وكأنك  
تودعها بلا عودة

علي بك...نعم يا ناصر فقد انتهى ذكر الممالك عند هذا الحد.

جهز ناصر للرحلة وركبا الجوادين ولكن بمشهد رهيب لقد لبسا الأقنعه وفراء الوحوش وقررا أن يودعوا أهل المحروسة.

أغمض ناصر عينه فقال علي بك بسم الله ولا حول ولا قوة الا بالله وردد ناصر وراءه فجاء الصوت من الجانب الأيمن بجوار علي بك ... يا اللللللله وصوت من الجانب الأيسر بجوار ناصر..... يا معيييين

يفتح ناصر عينه ليجد على يمين علي بك سيدي حسن الذوق على جواده وعلى يساره الشيخ نصر بالمبخرة والموكب في الدرب الأحمر يسير حيث يودع علي بك المحروسة آخر مملوك يودع المحروسة.

والعامه يصطفون يميناً ويساراً.

والتجار خرجوا من المحال ليروا وحشين أرقوا مضاجع الألبان على مدار ليال يجوبون المحروسة دون خوفٍ.

إحدى النساء...القيامة هتقوم، أشباح الممالك ماشية بالأحصنه في الدرب.





# الفصل السابع

## تصحيح التاريخ

وصلت الأنباء إلى أمينة هانم زوجة محمد علي أن علي بك السلانكي عاد إلى رشيد هو وتابعه خفيه وقد قطعت على نفسها وعد بأن تنتقم من زوجها محمد علي انتقام الأتقياء لا انتقام غدر وخسه مثل أفاعيله فهي تعلم أن سهم الله قد نفذ وعليها أن تفعل ما تستطيع ابتغاء غفران الله لها وأولادها وخشية أن يحدث لأبنائها شيء عقاباً من الله علي فعلة أبيهم. فنادت خادمتها المقربة.

الخادمة... تحت أمرك أمينة هانم

أمينة... اذهبي إلى الشيخ نصر وقولي له « أمينة هانم تبلغك السلام وتقول لك... بسرية أنتتي بخير الراوية تقي أبي لا يخشى في الله لومة لائم.»

لم تفهم الخادمة شيئاً ولكن هي عليها السمع والطاعة فقط فانطلقت إلى السوق تبحث عن المجذوب.

وفي هذه الأثناء دخل عليها محمد علي

- محمد علي.... نهارك سعيد أمينة هانم
- أمينة...ترمق الوالي ولا ترد
- محمد علي...تعلمين أني أحبك أمينة هانم فلما تهجرين
- أمينة...أنت قاتل يا والي المحروسة وقد حرمت عليك جسدي وأقسم أن اقتربت مني لأجعلن حياتك جحيماً.
- محمد علي يكتم غيظه حباً في أمينة هانم ويعلم أيضاً أنها تقية وصاحبة دعاء مستجاب ولن يستطيع النيل منها عنوة
- محمد علي...أنهم قتلة أمينة هانم تأمروا علينا وكانوا يريدون قتلنا وقد تأمروا على المحروسة هؤلاء المماليك.
- أمينة هانم.... يا والينا اضحك على العامة بكلامك هذا وزور التاريخ كيفما شئت هم ليسوا مماليك هم مصريون دافعوا عن المحروسة وقد كانوا مماليك قبل أن يبيعهم مولانا العز بن عبد السلام وتحرروا فأصبحوا مصريين. أما المؤامرة فقد فعلتها أنت والأرناؤوط والمرتزة من الألبان.
- محمد علي غاضباً.. كيف تجرؤين يا امرأة؟
- أمينة هانم.. السماح يا ولي النعم فقد نسيت أني زوج الوالي واعدرنني فأنا حديثة عهد بذلك، فزوجي الذي أعلمه هو محمد علي الداخني وأبيه تاجر الفحم والدخان

يستشيط محمد علي من كلام أمينة هانم ويقول... تمنعي ما شئت وأقسم أن أتزوج عليك عشراً إن استطعت.

أمينة هانم...تزوج منه فالغيرة للمحبين وليست للقتلة.

يخرج محمد علي غاضباً ويقابل أبناءه وهم في طريقهم إلى أمهم أمينة هانم فيشكو لهم عناد أمهم فدخلوا عليها يسترضونها.

- طوسون.. يا أماه رفقاً بنفسك ما حدث قد حدث.

- أمينة هانم...سؤال يا أمير طوسون يا قائد جيش أبيك هل كنت تعلم بالموامرة على المصريين؟

- طوسون.. تقصدين المماليك؟

- أمينة هانم...بل هم مصريون وأنت تعلم فلا تفعل كأبيك.

- طوسون.. على رسلك أومي بالله لم أعرف بل فوجئت مثلهم .

- أمينة هانم..... ماذا يا قائد جيش أبيك لو أن أحد البكاوات كان يحمل باروداً وأطلقه عليك؟

او تمكن منك أحدهم وضربك بالسيف وأنت لا تعلم؟

- طوسون...ينظر إلى الأرض متأملاً لما حدث ولم يستطع الرد

- أمينة هانم...أبيكم تأمر مع الأرناؤوط دون علم زوجته وأبنائه

ماذا لو فشلت الخطة؟

هل ضحى بنا أبيكم؟

يصمت الجميع والحسرة على وجوههم والخيانة تؤرقهم.

يخرج طوسون وقد ملئ خيبة فقد اتى ليودع أمه قبل الذهاب لوأد الحركة الوهابية في أرض الحجاز ولكنه ذهب حزيناً.

لم يمضِ كثيراً من الوقت حتى أتت الجارية وقالت لأمينة هانم:

الجارية...أمينة هانم ذهبت بالرسالة للشيخ نصر وجدته ومعه رجل وبعد أن سمع الرسالة قال خذينا إليها قد أحضرته ولكني لم أستطع الدخول بهم إلى الحرملك فاوقفتهم بين شجيرات في الحديقة

أمينة هانم... حسناً فعلتي

خرجت إليهم أمينة هانم واستحسنن المكان حيث لا يراهم

أحد فيه

- أمينة هانم.. كيف حالك يا مولانا الشيخ نصر؟
- الشيخ نصر...كيف حالك أنت أيتها التقية؟
- أمينة الحمد لله على كل حال نحمده ونستعينه حتى الزوال  
ثم قالت أتيت بالمطلوب؟
- الشيخ نصر.... هذا هو كاتب عصره وشيخ الكتاب  
المعاصرين الطاهر الأمين
- أمينة هانم.... أحسنت وأهلا بك أيها الكاتب ما اسمك؟
- الكاتب...أهلا بك أمينة هانم.. أنا عبد الرحمن بن حسن  
برهان الدين الجبرتي
- أمينة هانم...أو أنت الجبرتي؟ سمعت أنك تؤرخ كتاباً  
عظيماً فما اسمه
- الجبرتي...اسمه ((العجائب والآثار في التراجم والأخبار))
- أمينة هانم...هل تعرف ماذا حدث في القلعة؟
- الجبرتي...سمعت من العامة أمينة هانم
- أمينة هانم...اسمع يا جبرتي سأعطيك أسماء المغدور بهم  
والغادرين وسأنبئك بكل ما حدث.

- الجبرتي ..... عظيم
- أمينة هانم...ولكن هناك أسرار أريدك ألا تكتب فيها.
- الجبرتي.... ما هي
- أمينة هانم... لا تأتِ على سيرة الناجين ويكفي أن تكتب عن الشارد الذي قفز من فوق القلعة بجواده.
- الجبرتي...ولماذا لا أكتب عما سمعت مولاتي؟
- أمينة هانم حفاظاً على أرواح ما تبقى من الأبرياء.
- الجبرتي ..... فهمت يا أمينة هانم جزاك الله كل خير وجعل في ميزانك.
- أمينة هانم...سؤال قبل أن أعطيك الأسماء وأروي لك ما حدث.

هل المغدورين ممالك أم مصريون؟

الجبرتي...بصدق يا أمينة هانم أقول. هم مصريون بعد أن كانوا ممالك ولا تؤاخذيني إذا كانوا ليسوا مصريين فمن المصريون. هل محمد علي الجندي الألباني وعائلته هم المصريون؟

أمينة هانم.... صدقت إذأ خذ هذه الأوراق فيها كل شيء  
ولا تنسى أن تكتب في كتابك أن المغدور بهم مصريون والغادرين  
ألبان وأرناؤوط.

أخذ الجبرتي الأوراق سرأ وهم بالرحيل، وسأل أين الشيخ  
نصر؟

ضحكت أمينة هانم وقالت...الشيخ نصر ذهب فور بداية  
الحديث

الجبرتي.... لم أشعر به.

أمينة هانم... وحد الله وقل لا إله الا الله وارحل ولا تخف  
وأوصيك لا تضع في كتبك أي رسم يصور لاطوغلي باشا.

رجع الجبرتي إلى داره وأخذ يدون في كتابه.

وأوصت أمينة هانم كل من يجد صوره للاطوغلي باشا أن  
يحرقها أو يمزقها هي لا تريد أن يخلد ذلك الخائن باسمه ولا  
شكله بل يظل اسمه مقروناً بالمذبحة.

عادت أمينة نصرالي زوجة محمد علي إلى القصر فوجدت  
طوسون ينتظرها

- طوسون...جئتُ أودعك أماء فأنا ذاهب إلى أرض الحجاز  
لوأد الحركة الوهابية

- أمينة هانم.... لا تذهب بني فلا ناقة لنا ولا جمل هناك.

- طوسون... يا أمي قال لي أبي أن وأد الحركة يجعل الحجاز  
تحت إمرتنا ونؤمن طرق التجارة والحجيج.

- أمينة هانم...لا يهم الحجيج في نظر أبيك وما يريد إلا أن  
يضع يده على الأراضي المقدسه لهدف ما وأخاف يا ولدي  
أن يسوقك أبيك إلى حتفك..

- طوسون...لا تخاف يا أماء، تعلمين أن ابنك جلدٌ صلبٌ لا  
يهاب القتال.

- أمينة هانم...لا راد لقضاء الله يا ولدي اذهب حيث شئت  
فأنها أقداراً مقدره وأخشى أن تدفع ثمن دماء في عنق  
أبيك

ذهب طوسون بعد أن ودع أمينة هانم.

انتقل المشهد إلى جلسة الرواق الرئيس بقصر محمد علي  
حيث نراه يجلس كعادته يدخن ويجوار قدمه يجلس لاظوغلي  
باشا وهذا مقام التابعين لا شك

محمد علي... ما رأيك لاطوغلي باشا قد وعدنا مولانا إذا  
قضينا على الوهابيين سوف يقطعنا أرض الحجاز.

لاطوغلي... إذا يا مولانا سيخلد اسمك وتأتي المنفعة لك  
ولدولتكم.

محمد علي ضاحكاً مستمتعاً بغرور.... أهأاااا دولتنا نعم  
نعم دولتنا وأولادنا من بعدنا.

لاطوغلي... نعم وإلينا دولتكم وقد أحكمت قبضتك عليها  
بحكمة.

محمد علي... لكن تقول زوجتنا أمينة هانم أننا قتلة  
لاطوغلي باشا وسوف ندفع ضريبة دم المماليك.

لاطوغلي.... أمينة هانم صاحبة حس مرهف وقلب رقيق  
يا وإلينا ولا تعرف أصول السياسة

محمد علي.. نعم لاطوغلي هذه المرأة رقيقة وطاهرة لذلك  
أحبها ولم يأخذ مكانها في قلبي أحد من زوجاتي ولكنها تتمتع  
عليَّ لاطوغلي.

لاطوغلي... بمرور الزمن سوف تتسى وتعود إليك مولانا.  
يصمت محمد علي ويفكر في كلام لاطوغلي باشا وأمينة هانم  
وهو يعلم أن زوجته قلبها لا يخطئ أبداً

وبالعودة إلى علي بك السلانكي فما هو يدخل أبواب مدينة رشيد كتاجر هو وناصر بعد أن خرج منها وإلى المدينة وتوجه هو وناصر إلى دار أم ناصر السيده صباح فوجد الباب مغلقاً وعندما سأل ناصر أحد الجيران قال له أنهم لم يروها منذ أن ذهبت إلى بيت السلانكي.

قرر علي بك وناصر أن يتوجها إلى بيت أحد خدم علي بك ليسألوه وما أن وصلوا إليه حتى استقبلهم بحفاوة شديدة.

- علي بك يسأل الرجل عن زوجته وأبنائه فيرد الرجل وكأنه تذكر يوم لا ينسى

- الرجل... يا علي بك إنه يوم لا ينساه أحد. لا نحن ولا من أرسلهم الوالي محمد علي للقبض عليهم علي بك... ماذا حدث؟

- الرجل... دخلت زوجتك وأبنائك إلى غرفتك التي كنت تخصصها للعبادة علي بك وأغلقوا الأبواب وحاول الجند كسر الباب لكن السيدة أم ناصر قالت انتظروني سأدخل لهم وأمهلوني أخرجهم لكم.

- ناصر... معقول أمي تسلمهم بأيديها لجند محمد علي؟

- الرجل... هذا ما حدث وقلنا مثلك. كيف ستفعل السيدة أم ناصر ذلك وهي من تخاف عليهم من النسيم ضحك علي بك لشيء في نفسه وكأنه مطمئن وقال للرجل أكمل.

- الرجل.... دخلت أم ناصر وأغلقت الباب ورائها وغابت لفترة طويلة فقرر الجند كسر الباب والقبض على من بالداخل ولكن عندما تهيأوا لكسر الباب مد أحد الجنود يده على الباب فانفرج الباب فدخلنا فلم نجد بالغرفة أي شيء.
- ناصر...هربت أمي وزوجة علي بك والأولاد الرجل.... اختفوا بل واختفى كل شيء في الغرفة
- علي بك صامت ومبتسم
- ناصر... هل خرجوا من باب خلفي
- الرجل...علي بك يعلم أن هذه الغرفة ليس لها مخرج أو مهرب سكت
- ناصر فقد علم ما حدث وبدأ يربط بعض الخيوط ببعضها. أبيه مجذوب وأمه يعرفها جيداً تقيه ورعة صوامة قوامة ويعلم جيداً من هو علي بك
- علي بك.... هيا يا ناصر لنذهب نبحث عنهم لعل الله يلم الشمل في وقت نذهب جميعاً فيه إلى الله.
- تمر الأيام يوم يليه يوم وشهر وراءه شهر وعلي بك وناصر يتجولون في أرض الله يبحثون عن مرادهم وجمع شملهم

وفي ليلة نام علي بك فرأى أمينة هانم في منامه تقول له  
(وقعت في عرضك

علي بك.... طلبك أمر أمينة هانم

أمينة.... أطبق الوهابيين على طوسون ولدي في أرض  
الحجاز وقد بعث محمد علي ابنه إبراهيم على رأس جيش  
لنجدته وأريدك أن تكون في هذا الجيش ثم قالت أعد لي  
ولدي علي بك))

صحا علي بك من نومه وقال لناصر أعد متاعنا للرحيل  
يا ناصر

ناصر.... إلى أين علي بك.

علي بك.... نذهب إلى الله



((معلومه ١))

عندما أوكلت الحكومة المصرية للفنان الفرنسي ((جاك  
مارت)) مهمة صنع تمثال لاطوغلي واجهته مشكله فلم يجد له  
صورة أو نقش أو رسم فاستعان بأحد أصدقاء لاطوغلي باشا  
ليعثروا على شبيهه ويا لسخرية القدر يأتي الشبيه سقا

ليقف السقا وقفه الأمراء ويلبس لبس الأمراء ويخلد المثال  
((جاك مارت)) ذلك السقا الفقير.

فقد حلت على لاطوغلي باشا لعنة الدماء وكل ما فعله  
لمحمد عليّ لم ينسب له ولم يكتب على أعماله اسمه وحتى  
تمثال لاطوغلي ليس له ولكن لسقا مصري))



((معلومه ٢))

اسم لاطوغلي مكون من مقطعين

الاول (لاظ) وهذا هو اسم الأب

والثاني (أوغلي) وهذه كلمة تركية بمعنى الابن

إذا الاسم بالعربية ((ابن لاظ))





# الفصل الثامن

## رحلة إلى الله

- علي بك وناصر في طريقهم إلى الحجاز وأثناء السير يسأل ناصر علي بك
- ناصر... اتسمح لي يا علي بك؟
- عليّ السلانكي... قل يا ناصر ما تريد وكل ما تسأل عنه سأجيب عليه
- ناصر... لماذا نحن ذاهبون أرض الحجاز وأنت تعلم أن جيش محمد علي هناك وربما يقبض علينا؟ أم أنك ستذهب إلى مكان بعيد عن تواجد طوسون باشا
- علي بك... بل يا ناصر سنلتحق بجيش طوسون.
- ناصر مستغرباً... كيف ذلك سيدي؟ أتذهب لنصرة جيش محمد علي.
- علي بك... لا بل انا ذاهب لنصرة جيش مصر يا ناصر فمحمد عليّ ما هو إلا والي ولي أمر المحروسة فقط وليس هو المحروسة.

- ناصر.... بعد أن قتل أخوانك علي بك.
- علي بك... ما بيني وبين محمد علي لم ينتهِ يا ناصر وسوف استرد حقي أما جيش مصر فلا شأن له. هو جيش مصر يا ناصر سيبقي ويزول كل ظالم ولي على المحروسة.
- ناصر.... سيدي علي بك كيف قررت الذهاب إلى الحجاز دون سابق إنذار.
- علي بك.... بعد انتصارات طوسون يا ناصر توغل إلى وسط نجد فاجتمع عليه أهل نجد وحاصروه وقد حملت أمانة من أمينة هانم أم طوسون بأن أعيده هنا سكت ناصر ولم يسأل كيف حمل الأمانة فهو أصبح على يقين بأن هنا حلقة وصل خفية عليه بين أبيه المجذوب وأمه وأمينة هانم وعلي بك أنه سر يشعر به ولكنه يعلم أن الأسرار تبقى أسرار.
- ولما أحس علي بك بأن ناصر نضج ذهنيًا ويحفظ السر بدأ يتكلم معه دون خشية أو تكلف في أسراره لعلمه أن ناصر لن يسأل كيف يعلم علي بك كل هذا ومن أين يأتي بالأخبار فقال له:

- علي بك...أتعلم يا ناصر طوسون باشا محاصر وقد أصيب وهُزم جيشه الآن
- ناصر...وماذا نفعل؟
- علي بك.. سوف نعود به إلى القاهرة.
- ناصر..... كيف علي بك؟
- علي بك.... لا يهم كيف المهم الآن أن نذهب لزيارة الحبيب في قبره
- ناصر...صل الله عليه وسلم
- يكمل علي بك السير هو وناصر ونعود بالمشهد إلى قصر محمد علي حيث أمينة هانم في غرفتها تبتهل إلى الله وتبكي فيدخل إلى غرفتها محمد علي ويقول:
- محمد علي.... لماذا تبكين أمينة هانم؟
- أمينة...أبكي فراق بني يا والي المحروسة
- علي بك.. طوسون باشا سينتصر أمينة هانم لقد أرسلت له ولدنا إبراهيم لنجدته.
- أمينة هانم...ابنك مصاب محمد علي ولن يستطيع إبراهيم إرجاعه، لقد أرسلت وراؤه رجال ليسترجعوه يا والي

المحروسة، أرسلت رجال ليسوا كرجالك، رجال قلوبهم لا تعرف الخوف.

- محمد علي.. أرسلتي من أمينة هانم؟
- أمينة هانم...أرسلت الرجل الذي تبحث عنه لقتله، الرجل الذي قتلت أنت أخوانه يا ووالينا .
- محمد علي مستغرباً متهجماً.... أرسلتي الوحشين عليّ السلانكي وتابعه أمينة هانم؟
- أمينة هانم.... نعم محمد علي من تريد قتله هو من يغامر ليرجع ولدك المصاب
- محمد علي...لا تقولي لأحد ان ولدنا مصاب أمينة هانم فذلك سيضعف من موقفنا ناهيك عن الحالة المعنوية للجنـد .
- أمينة هانم.... هذا كل ما يهـمك!!
- بدلاً من أن تحزن على ولدك تفكري في كرسيك .
- محمد علي... أنا حزين بالفعل أمينة هانم لكن أنها مسؤوليات الراعي.
- أمينة هانم.... هذا أنت مرواغ لا تحمل بقلبك مثقال ذرة من مشاعر.

- محمد علي يترك أمينة هانم وينسحب لأنه يعلم أن هذه السيدة لا تفلح معها إلا عيبه السياسية التي هو بارع فيها.

ينتقل المشهد إلى علي بك السلانكي وناصر وهما على مشارف الحصار وقد وجدوا إبراهيم بك قد اشتبك بالفعل مع أهل نجد وأهل الحجاز فانضم إلى الجيش ولكن حينما هم ناصر لرفع سلاحه قال له علي بك ارجع سلاحك مكانه يا ناصر ما جئنا لمحاربة أحدٍ ولن نقاتل مسلمين أبداً

- ناصر.. لكن علي بك هم متمردبن ضد نظام الخلافة العثمانية

- علي بك... لا شأن لنا يا ناصر لن نقاتل مسلمين ومرجعهما إلى الله هو أعلم بهم

يستمتع ناصر إلى كلام علي بك السلانكي ووسط إطلاق النار نرى جواد علي بك يسترجع الزكريات ويتأهب لخوض المعركة وها هو يبذل قوائمه بانتظام وكأنه ينتظر الإشارة من علي بك وبالفعل علي بك يطلق العنان للجواد فينطلق وورائه ناصر علي ظهر جواد آخر يلحق به ويشق الجوادان الصفوف ويحدثوا ثغره ينسلوا منها إلى قلب المحاصرين ويردد علي بك كلمات يرددها ورائه ناصر كأن ناصر تعود على ذلك

علي بك..... باسمك اللهم..... باسمك اللهم... باسمك

اللهم

ويخترق الفارسان علي بك وناصر إلى قلب الحصار وسط النيران والبارود بسم الله ولم يستطع أحد إصابتهم، يتوجه علي بك إلى خيمه وكأنه يعرف من بداخلها فيجد قائد الجيش طوسون مصاب طريح الفراش فيمد يده ليحمله والمشهد مروع يحمل علي بك طوسون بين يديه وهو يقول بسم الله لا حول ولا قوة الا بالله وكأنه يحمل طفلاً صغيراً ويضعه على الجواد ثم يمتطى هو الآخر ظهر الجواد وينطلقا عائدين ورائهم ناصر يحمي مؤخرتهم وبعون من الله يتجاوزوا الصفوف.

ويرسل علي بك السلانكي ناصر إلى إبراهيم باشا يعلمه بأنه استطاع أن يحرر طوسون من الحصار وسعيده إلى المحروسة.

وهنا يأمر إبراهيم بك جنده بالضغط على الوهابيين بكل قوه فقد اطمأن أن أخيه ليس بالداخل فكان سبباً في انتصار إبراهيم باشا.

ويعود ناصر لينضم إلى علي بك السلانكي في طريقه للعودة إلى مصر لكن علي بك غير اتجاهه تجاه المدينة لتضليل

أي أحد يتبعهم من جهة ومن جهة أخرى لزيارة قبر رسول  
الله (صل الله عليه وسلم) وشيء آخر في نفسه وبعد أيام وما  
أن وصلا على أبواب المدينة حتى وجدا خيمة خضراء فتوقف  
جواد علي بك أمام الخيمة لتظهر امرأة بلباس أبيض وتقول:

المرأة.... إيه اللي أخرك كده يا واد يا سلانكي؟

إنها أم ناصر خنساء المحروسة وبداخل الخيمة كانت زوجة  
علي بك وأولاده...





# الفصل الأخير

## نهاية ظالم

يعود علي بك السلانكي ب طوسون بن محمد علي مصاب وبحاله حرجة وأثناء العوده يقول له ناصر أن إبراهيم بك أخو طوسون قد أبلغه بأن يعود بطوسون إلى الأسكندرية.

- علي السلانكي... أتعرف يا ناصر أن محمد علي رجل لا قلب له.

- ناصر... لماذا سيدي؟

- علي بك... طوسون سوف يموت ولن يستجيب للعلاج ومحمد علي يعلم ذلك ولكن لأنه يعلم أنه سيدفع ضريبة دماء المماليك يخفى نبأ إصابة ابنه عن المحروسة حتى لا يتشفى فيه أحد.

- ناصر... معقول علي بك؟! أمن المعقول ان طموح محمد علي يفوق حبه لأبنائه

- علي بك... بل يفوق بكثير يا ناصر أن هذا الرجل سوف يضحى بأي شيء مقابل المجد وأن يخلد اسمه في التاريخ.

- ناصر...إذا ظلم الناس علي بك.
- علي بك...وظلم نفسه يا ناصر إنه كرجل تبول في بئر زمزم ليذكره الناس علي مر العصور ولو باللغات.

### ويتغير المشهد

- علي بك يأتيه أنباء قدوم طوسون إلى الأسكندرية ليتلقى العلاج في قصر التين فيدخل ليبشر أمينة هانم أم طوسون.
- محمد علي...أمينة هانم ابنا طوسون بالأسكندرية، والأطباء يقومون بعلاجه
- أمينة هانم باكية...سهم قد نفذ وانتهي ولا ينفع العلاج لمن مات وتستمر بالبكاء
- محمد علي.... أقول لم يمتم أمينة هانم وسوف يعالج
- أمينة.... هذا ما اقترفته من ذنب يا والي المحروسة يموت ابنك دون وداعه
- علي بك...لقد أصابك الخبل أمينة أقول لك حي وتقولين ميت
- في هذه الأثناء يدخل خادم لمحمد علي ليقول له أن رسول من الأسكندرية قد أتى بخبر موت طوسون.

يتحرك قلب محمد علي ويبكي وينظر إلى أمينة هانم، ويقول دليني على شيء أفعله أكفر به عن ذنبي أمينة هانم.

- أمينة هانم تبكي بحرقه وتقول... رحمة ربك وسعت كل شيء وأخاف أن أقول إنه لن يغفر الله لك فتكون عليّ حجة يوم القيامة ولكن أشير عليك أن كنت تعمل بالشوري

- محمد علي...أشييري أمينة هانم

- أمينة...تصدر قانون بعث الرقاب وتجريم الرق والعبودية

- محمد علي...أفعل أمينة هانم أفعل

يخرج محمد علي ويصدر قراراً بتجريم الرق وعتق رقاب العبيد ويبعث رسل إلى أرجاء الأرض التابعة له لينفذوا الأمر.

ويرسل في استجلاب جثمان ولده طوسون ليدفن في القاهرة.

ويأمر المنادي في المحروسة يعلن عن وفاة ابنه طوسون بوباء الطاعون ليخفى محمد علي أن طوسون أصيب وقتل على يد أهل الحجاز

## يتغير المشهد

لنجد علي بك السلانكي وناصر قد استقرا في الأسكندرية كمواطنين مصريين واهليهما دون إعلام أحدٍ عن أصلهم

يدخل علي بك غرفته ويأمر ناصر بحراسة الباب حتى لا يدخل أحد عليه في خلوته ببيته الجديد بالأسكندرية ويغلق الباب وراءه.

### المشهد يتغير

- علي السلانكي في حديقة قصر القلعة يتحدث مع أمينة هانم
- ناصر.. البقاء لله أمينة هانم
- امين.. ونعمة بالله سيدي علي بك
- علي بك... العفو يا ستنا
- أمينة هانم هل استقر أمرك في الأسكندرية؟
- علي بك... الحمد لله أمينة هانم قد اشترت بيتاً كبيراً للسكن وفتحت فيه حانوتاً أبيع فيه العطارة والأعلاف
- أمينة هانم... إذا أصبحت من العامة وذبت وسط المصريين
- علي بك... يكفيني ما حدث أمينة هانم
- أمينة.... محمد علي يدفع الثمن علي بك
- علي بك... وسيدفع الكثير أمينة هانم

في هذه الأثناء محمد علي في شرفته يرى عليّ السلانكي  
وأمانة هانم في الحديقة فينادي على الحرس.

محمد علي...يا حراس يا حراس أتتوني بعلي السلانكي  
ولو جثة هامده، وما زال يصرخ حتى انتشر الحرس وأحاط  
بالحديقة وجعل يفتش فيه دون أثر للسلانكي

محمد علي ومعه لاطوغلي باشا يتوجهان إلى أمانة هانم  
في الحرمك

لاطوغلي يسأل الحراس...هل دخلت أمانة هانم الحرمك  
الآن؟

أحد الحراس...لم تغادر أمانة هانم الحرمك منذ أمس

لاطوغلي... كيف فقد رآها الوالي في الحديقة منذ قليل!

حارس آخر.... أقسم لك سيدي انها لم تخرج من غرفتها

يدخل الغرفة محمد علي ويوجه كلامه لأمانة هانم

- محمد علي.... إذا انت تقابلين السلانكي في حديقة القصر؟

- أمانة هانم...سلامة عقلك يا والي المحروسة، عليّ السلانكي

منذ أن أتى بطوسون من الحجاز ذاب في الأسكندرية ولم

يبرحها

- محمد علي... لقد رأيتكما بأم عيني
- أمينة هانم.... إذاً موت ابنك طوسون أصابك بهلوسه، فلم أغادر غرفتي منذ أمس
- لاطوغلي.... بهمس لمحمد علي.... يا سيدي قد أكد لي الحرس ذلك وأخاف أن يكون اختلط عليك الأمر
- علي بك.... متأكد من طاقم الحراسة يا لاطوغلي؟
- لاطوغلي...هم من اتباعي يا والينا
- يخرج محمد علي يتبعه لاطوغلي إلى الرواق الذي به مجلس محمد علي الرئيسي ليستقبل مبعوثين قد بعثهم إلى أوروبا للتعليم منهم يوسف أفندي
- وفي المجلس سأل محمد علي عما رآه المبعوثين من جديد في بلاد الغرب فرد أحدهم
- يوسف أفندي.... مولانا محمد علي قد جلبت ثمار تشبه البرتقال ولكنها سهلة التقشر وليست كالبرتقال.
- محمد علي... أرينها يوسف أفندي. ويمد يده ليأخذ الثمار ويقشرها ويتذوقها ويقول:
- محمد علي... ما اسم هذه الثمرة

يوسف أفندي لا أعلم مولانا ولكن سأسميها طوسون حباً  
في الفقيد ابن حضراتكم

يتألم محمد علي ويشكر يوسف أفندي على ولائه ولكنه  
يرفض تسمية الثمار باسم ابنه لان ذلك سيجعله يتذكر موته  
كلما رأى الثمار ولكنه قال:

محمد علي...أنعمنا عليك يوسف أفندي بتسمية الثمار  
باسمك ليصبح اسمها يوسف أفندي وينطقها محمد علي بلغته  
هكذا يوسف أندي ومنها اشتق اثم الثمره في بعض الأحيان إلى  
يوسافندي واختصر المصريون الاسم إلى سافندي ((ثمار اليوسفي))

تمر الأيام وقد استقرت الأحوال لمحمد علي ولكن تشوبها  
خلافات مع ابنه إبراهيم بك الذي تعلم من كل ما سبق فأصبح  
ضد آراء أبيه وقد أشيع أن محمد علي يرى أشياء لم تحدث  
فهو دائماً يرى السلانكي في حديقة القصر مع أمينة هانم  
يتحدثان ويشهد جميع الحرس بأن أبواب القلعة مغلقة وأمينة  
هانم لا تترك غرفتها .

وفي يوم دخل علي السلانكي إلى خلوته بالأسكندريه  
وكالعادة يقف ناصر علي باب الغرفه حتى لا يدخل عليه  
أحد لعلم ناصر أن ما بداخل غرفة الخلوة سر لا ينبغي لأحد  
معرفة .

عليّ السلانكي بداخل الغرفة بعد أن أغلقها يقول...بسم  
الله لا حول ولا قوة إلا بالله

يتغير المشهد إلى غرفة أمينة هانم والمشهد هي على فراش  
الموت يقف بجانب السرير سيدي علي الذوق وسيدي ناصر  
السلانكي وسيدي نصر ولكن بدون المبخرة المعتاده ولا ملابس  
المجاذيب ولكن بلباس أبيض، جميعاً يلتفون حول أمينة هانم  
تلك التقيه الورعه وهي تحتضر فدعوا لها بالجنان واللحاق  
بحبيب الرحمن فخرجت روحها الزكية وهنا دخل محمد علي  
الغرفة بعد أن أعلمته إحدى الخاديمات بأن أمينة هانم تحتضر  
فرأى الجمع فالتفت يصرخ على الحراس

وعندما أتى الحرس لم يجدوا أحداً على الإطلاق وجاء  
وقتها إبراهيم باشا على صوت الصراخ ليجد أمه قد فارقت  
الحياة ويتأكد بأن أبيه قد كبر وخرف

ومحمد علي يأمر بنقل جثمان أمينة هانم إلى مسقط  
رأسها نصراتلي لكن إبراهيم يأبى ذلك وقال لأبيه محمد  
علي بأن أمه أوصت بأن تدفن بمدافن الإمام الشافعي بجوار  
الصالحين هناك

وبالفعل تدفن أمينة هانم بالإمام الشافعي

وينتهي هنا ذكر عليّ السلانكي وتابعه ناصر إلى الأبد فقد ذابا في الأسكندرية ولا يعلم أحد عنهما شيئاً .

لكن ما وصل لنا أن محمد علي قد أصابه الخرف وحدثت فتنة وشقاق بينه وبين ابنه إبراهيم علي الحكم وتنازل محمد علي عن الحكم كرهاً بعدما تأكد للجميع بأنه خرف ولكن إبراهيم لم يلبث أن مات .

وما أن تولى عباس حلمي أمور البلاد بفترة وجيزه حتى مات محمد علي فأمر عباس حلمي بدفنه في جنازة وصفت بأنها لا تليق بمؤسس الدولة العلوية ومصر الحديثة وذلك لخلاف في الرأي بين عباس حلمي ومحمد علي .

وهكذا يموت محمد علي مذلولاً خرفاً ويدفن وقبله أبنائه وزوجته ليقهر عليهم . زوجته التي أحبها وتمنعت عليه حتى مماتها وأبنائه طوسون الذي مات مصاباً وابنه الذي أخذ منه الحكم عنوة ثم يموت إبراهيم وبعده محمد علي ويدفن بجنازة لا تليق

إنها لعنة الدماء وشهوة كراسي الحكم التي تؤول إلى المهالك في معظم الأحيان إن لم تكن في كل الأحيان .

تمت روايتي

((قلوب لا تعرف الخوف))

إلى لقاء بحول الله في رواية أخرى

رفيق أبو حسن

على هامش الرواية

((الجبرتي))



# نقد للرواية

## الجزء الأول:

من الجدير بالذكر أن :

الرواية من أكثر الأشكال الأدبية تداولاً وانتشاراً، ويرجع ذلك إلى أنها تضع للقارئ عالماً مسبوكاً بطابع سردي مشوق، ينتقل فيه الراوي من العالم الواقعي إلى عوالم خيالية وتاريخية موازية له.

وهي - في كنفها - نقد له، ورصدًا وتأريخًا في آن واحدٍ بطريقة فنية و أدبية تتقل الحقائق التاريخية في شكل يرتقي بالأدبية النصية إلى الشعرية النصية، إلى الواقعية، وإذا فالنص الروائي لهذا الجزء من رواية، «الدرب الأحمر» للكاتب الروائي

Rafik Abohassan

يعتبر من النصوص الحديث الذي يجمع في طياته بين الأدبية و اللغوية من جهة و الأسلوبية الشعرية والسرد التاريخي والسلاسة من جهة أخرى، والمتمعن في العمق الدلالي للجمال الفني السردى في الروايات يتراءى له أن هذا السبك الأدبي المحكم لم يكن عفويًا، فالكاتب ليس افتراضي كما قال عن نفسه في بعض كلماته، بل له ارتباطات فنية وحضارية وتاريخياً

يتناص والإبداع الأدبي العربي القديم، وذلك من حيث التصوير وكذلك الإيقاع .

وإنني في هذا الكلمات حاولت تجلية الأبعاد السردية، والتاريخية المتألفة فيما بينها في البناء الروائي لهذا الجزء من رواية ((قلوب لا تعرف الخوف)) للكاتب الروائي رفيق ابو حسن، كنموذج للسردية العربية المتميزة، ذات البعد التاريخي، والتي تتعدى البعد الجمالي الفني، وحتى الإبداعي اللغوي إلى السردية الشعرية في أسمى تجلياتها الفكرية (السياسية، والفلسفية، والتاريخية)

## الجزء الثاني:

حينما غاب الدين والضمير عند البشر وكان غيابهما من القلوب واصبحا شعاراً ظاهراً فقط (( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ )) ظهر الداعية الكذاب وسمسار الأحزاب، ومناد لانتخاب وعاو في خراب وظهر معلم الدروس الخصوصية، وطبيب يتاجر بالأعضاء، ومهندس يستلم الرشوة مالا وموادا للبناء، وإمام يركب « الهمر » ويدعو للزهد، ولص حكومي قانوني، وتاجر مخدرات فطن وكريم وحسن السمعة، وأديب يعرض ذمته بمبلغ من المال، ويبيعه لمن لا موهبة له ، اقترن

الأدب بسوء الأدب، وأصبح للأدب سوقاً وله تجار أصحاب سيادات سامية وشهادات عليا، تسعى لأكل العيش على رفاة المبادئ والقيم وتبيع المثل العليا بالدنيا، فتطعن الشريف وترفع الخسيس، وتسيء الظن، وتسبب العفيف، تصيح بلا خوف شيوخ ضفادعٍ ... وكنت أظنها تهيم ولا تدري .

اختلط الحابل بالنابل وزيف التاريخ، وهذا ما دعاني لإستكمال قرائتي في رواية ((قلوب لا تعرف الخوف)) للكاتب الروائي رفيق أبو حسن، لما رآه من صدق الموهبة عند الرجل أحسبه كذلك ولا أزكيه على الله وقراءتي لهذه الرواية هي جهد المقلين، إن أحسنت فمن الله وإن أسأت فمني ومن الشيطان.

توصلنا في الجزء الأول لهذه القراءة إلى: -

تجلية الأبعاد السردية، والتاريخية للخطاب الروائي، المتألفة فيما بينها في البناء الروائي لهذا الجزء من رواية ((قلوب لا تعرف الخوف)) للكاتب الروائي رفيق أبو حسن، كنموذج للسردية العربية المتميزة، ذات البعد التاريخي، والتي تتعدى البعد الجمالي الفني وحتى الإبداعي اللغوي إلى السردية الشعرية في أسمى تجلياتها الفكرية، (السياسية، الفلسفية، والتاريخية).

كما سأحاول من خلال في هذه الرواية ((قلوب لا تعرف الخوف)) توضيح الأوجه المتعددة للرواية باعتبارها نصاً روائياً من جهة، و باعتبارها خلاصة تجربة إنسانية، وتاريخية يجمعها صاحب الرواية في عالم خاص من ابتكار خيالاته وأسلوبيته وسرده المتميز في تأريخ تلك الحقبة من الزمن لفئة المماليك مستنداً في ذلك إلى حقائق تاريخية مثبتة وصحيحة والتي لم يعرها الكتاب اهتماماً كبيراً إلا أن الكاتب يعتمد إلى إظهار وتبيين تفصيلات غير معروفة للخاصة فكيف يكون وقع الصدمة عند العامة من إبهار، كما أن الرواية تحمل ثقلاً فنياً بلاغياً وأسلوبياً أهلها بأن تكون معرضاً لغوياً و أسلوبياً و فكرياً يرتقي بالكتابة من أدبيتها إلى شعريتها وروحانيتها ومرجعياتها التاريخية في التأريخ والسرد،

### لغة السرد بين النظرية والتطبيق

وسأسعى إلى رسم معالم النظرية النقدية الشعرية تطبيقاً على رواية ((قلوب لا تعرف الخوف))

وهي كما يراها روادها من أمثال رولان بارت. Roland Barthes، جيرار جينيت Gérard Genette، رومان جاكبسون ومخائيل Tzvetan Todorov تودوروف تزفي تان، Jakobson Roman باختين M. BAKHTINE وغيرهم من الذين اهتم بمفهوم الشعرية كعلم تجريدي يرتقي بالأدب إلى أعلى مصايف التأثير.

وإذن (فالشعرية – Poetics - Poétique ) باعتبارها نظرية تعنى بالخطاب في القصيدة كذات تاريخية، . كما يقول هنري موشينيك . فإن تجلي هذه الذات التاريخية في الرواية يبدو أكثر وضوحاً من خلال السرد المترابط للأحداث وفي بيئات متعددة، وتتجلى أيضاً التعالقات القائمة بين نظرية اللغة ونظرية التاريخ، ونظرية الذات.

تأمل معي هذا المشهد من الجزء الخامس لرواية ((قلوب لا تعرف الخوف)) « وانطلقا واثاء سيرهما قال ناصر.... كيف سندخل من البوابات» علي بك.... ما عليك عند الوصول إلى البوابة إلا أن تغمض عينيك وأول ما تسمعي أقول بسم الله لاحول ولا قوة إلا بالله ردد ورائي وانتظر حتى أقول لك افتح عينك .

تعجب ناصر من كلام علي بك ولكن هو عهد اتخذه علي نفسه بالسمع والطاعة . وقبل أن يصلوا إلى البوابات بمسافة بعيدة قال علي بك .. أغمض عينك فأغمض ناصر عينه قال علي بك ..بسم الله لا حول ولا قوة إلا بالله فردد ناصر وراءه ولكن ناصر أحس بأن الجواد تحته لم يتقدم خطوة وقال علي بك: افتح عينك فتح ناصر عينه فوجد نفسه قد تجاوز البوابة بمسافة كبيرة، الحيرة تعلو وجه ناصر كيف اخترق الحرس والبوابة ومشى كل هذه المسافة في وقت قصير جداً .

علي بك..... لا تسأل عن شيء يا ناصر وإن حدثت أحداً  
عن ذلك فسيكون فراق بيننا .

امتثل ناصر كعادته وقال: من أين نبدأ علي بك؟  
علي بك:...نغسل الدرب الأحمر من دم المماليك

« التلميح هنا في النص الروائي أعلى من التصريح في الإمتاع  
والتشويق لمعرفة باقي الأحداث وقد استمتعت بما تم سرده من  
تفصيلات أظنها تخفى على الخاصة ولا يعرفها الكثير وكذا  
هذا التلميح الخفي والمتضمن التنوية بوجود الكرامات لعلي بك  
السلانكي كما لو أنه والي من أولياء الله الصالحين في نهاية  
هذا الفصل.

وتأمل معي هذا الحوار في الجزء السادس من رواية ((قلوب  
لا تعرف الخوف)) للكاتب الروائي رفيق أبو حسن، حيث يقول :-  
( ( وعند الفجر كان الدرب الأحمر يعج بالعسكر الألبان معهم  
لاظوغي باشا)) وبدا حديث العامة بأع العرق سوس بصوته  
العذب....وحد الللللللللللللللله .

شيخ العطارين..... لا اله الا الله .

سيد الاسكافي...سمعت أن فيه وحشين هجموا على حرس  
القلعة .





هالات اليقين المرصع بالإيمان الخالص فتتلقاها مثيلاتها من الأرواح النقية والمعنية بهذه الرسائل وكأنها تقرأ رسائلها المرسلة وتراها رأي العين، هي لغة روحانية فريدة تبت إشاعتها داخل النفوس النقية فتفيض يقيناً في الله ليربها دون غيرها من الأرواح الأخرى فتتواصل في عالم آخر عالم خاص بها وحدها يتسم بالخصوصية المطلقة،

وعلى حسب درجة الإيمان واليقين في الله تكون الولاية، بل وتكون الكرامة هي منحة الله لأنبياءه و أوليائه الصالحين، الذين عبدوه حق عبادته وتيقنوا فيه سبحانه وتعالى حق اليقين وأمنوا به حق الإيمان فرضوا بقضاءه كيفها كان، قال تعالى (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤))

### تصحیح التاريخ:

وقد أستوقفني التتويه عن الجبرتي تحديداً لعظم مكانة الرجل وهو: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ المعروف، وهو المؤلف لكتاب «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار» أو تاريخ الجبرتي اختصاراً كما يسمى، ويعتبر من أهم كتب التاريخ في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري إن لم يعتبر

المصدر المصدق الوحيد الذي يصف مصر دون حيد إلى حاكم أو تحيز إلى شخص.

ولا شك أن الجبرتي قد استغرق في هذا العمل ليله ونهاره، واستمر يبحث عن مصادره ومراجعته، وبدأ يدون الأسماء، وكان من الطبيعي أن يبدأ بالمشايخ، ومن كان منهم شيخاً للأزهر، ومشايخ آخرين. من كان أبوه يطلق عليهم الطبقة العليا، ثم الطبقة التي تليها ممن اشتهروا بالعلوم الفقهية والعقلية والنقلية والشعر والأدب والخطابة وغير ذلك. كما شرع يدون أسماء الأمراء ومن بلغ منهم مشيخة البلد ومن شاركه في الحكم. استعان الجبرتي في علمه هذا بكل من أعتقد أن عندهم عوناً، ومن هؤلاء صديقه المشهور (إسماعيل الخشاب الذي التحق شاهداً بالمحكمة، وكان من المشهورين بالعلم والأدب في عصره، وكان الجبرتي دقيقاً لا يكتب عن حادثة إلا بعد أن يتأكد من صحتها وقد يؤخر التدوين حتى يحيط بالمصادر التي تصححها سواء بالتواتر أو بالشهادة.

(( وبما أننا في فصل تصحيح التاريخ وهو الفصل الثامن من رواية ((قلوب لا تعرف الخوف)) فقد هممت أن أعتب على الكاتب في تنويهه عن الكتاب تحت عنوان ((العجائب والآثار في التراجم والأخبار)) والصحيح هو «تاريخ عجائب الآثار في

التراجم والأخبار» فإن اقترب المعنى الكتابي بين العنوانين لكن الدلالات اللفظية قد تختلف بعض الشيء في مضمونها ونحن بصدد تصحيح التاريخ، فشطر العنوان الأول الذي نوه عنه الكاتب يعطي دلالة لفظية ثنائية أي أن هناك «عجائب، واثار» فالعجائب وحدها والآثار كذلك وهما شيئين كلاهما ينفصل عن الآخر في العنوان الأول،

أما العنوان الثاني فيعطي دلالة لفظية أحادية «عجائب الآثار» وهنا العجائب مرتبطة بالآثار غير معطوفة على الآثار فلم تكون هذه العجائب إلا لهذه الآثار وبذلك تعطي دلالة لفظية واحدة، وكنت أرى أن هذا شيء بسيط وغير متعمد، كما هممت أيضاً التتويه عن أن : شخصية بحجم الجبرتي مؤرخاً عظيماً وعالماً من علماء الأزهر، وما لاقاه من ضغوط وصعوبات لإختلاف آراءه السياسية مع نظام الحكم آن ذاك أفضت بحياة نجله صريعاً بسبب موقف أبيه، فقد قُتل ولده خليل وقد كثرت الأحاديث حول أسباب القتل، ولكن أغلبها تشير إلى أن سبب ذلك هو موقفه المعارض من حكم محمد علي وثورته على الدولة العثمانية حيث قد أمره محمد علي بكتابة كتاب لمدحه فرفض الجبرتي فهدده فرفض أيضاً مما جعل محمد علي يقوم بقتل ابنه خليل ،

شخصية بهذا الحجم وهو المؤرخ عبد الرحمن بن حسن برهان الدين الجبرتي وشهرته الجبرتي (١٧٥٦ - ١٨٢٥) كنت أرى أنه لابد أن يأخذ حقه في الرواية فلا يظهر في مشهد أو مشهدين، غير أنني مدين بإعتذار للكاتب الروائي القدير — رفيق أبو الحسن — حيث تم نشر جزء من السيرة الذاتية للجبرتي تحت عنوان

((قلوب لا تعرف الخوف)) علي هامش الرواية ((الجبرتي))

وسرد الكاتب ما قاله الأخير في كتابه عن مذبحه القلعة وبعض المعلومات القيمة والمستفيضة عنه وبذلك يكون الكاتب قد أعطى الجبرتي قدرًا من تسليط الضوء وبعضاً من القدر الذي يليق به كأحد أهم المؤرخين الصادقين المخلصين النبلاء بما يتناسب مع الرواية.

لقد استوقفتني رواية ((قلوب لا تعرف الخوف)) كثيراً حين قراءت هذه الأجزاء مرات عديدة، وحتى الجزء الثامن والمعنون بـ « تصحيح التاريخ »، فلا يمكن أن تكون صناعة اللغة والزخرف اللفظي والتظاهر باللغة هو الدافع الأساسي لإنتاج مثل هذا النوع الأدبي التاريخي المسبوك سباًكاً لغوية متينة، كما أن البراعة اللغوية و البلاغية المتجلية في تصويرها الفني الرائع للأحداث التاريخية و الواقعية وكذا الخيالية، التي تقوم

بها أبطال الرواية وشخصياتها حتى العابرين فيها - ناصر بك - وعلي بك - وأم ناصر في الجزء الرابع وموقفها مع علي بك - عم معروف الذي يشعل فوانيس الطرقات - إبراهيم أغا رئيس الحرس - وكذا أمينة هانم زوجة محمد علي والي مصر واستتكارها لما حدث من سفك للدماء ومساندتها لناصر وعلي بك.، ونصيحتها لهم وقت الأخذ بالتأثر، وحتى الرحيل استدعائها للجبرتي حرصاً منها على تدوين التاريخ بشكل صحيح وتقديم المعلومات والنصائح والأوراق للمساعدة على تأريخ الحق حتى لا يزيغ التاريخ - وغير ذلك السرد الفني المستخدم واللغة البسيطة المتغلغلة في تفاصيل الشخصيات، فتجد نفسك مرغماً على الانسجام مع الأحداث وكأنك تعيشها حقيقة.

ومن أهم الدوافع التي أغرتني بالنظر في كنه بنية الخطاب الشعري والتاريخي في الرواية، وإيماءتها للمعاني بطريق غير مباشر، وتجعل الفكر الفردي والجمعي يسافر بعيداً ليربط الحاضر بالماضي، ولمقارنة المعنوي بالحسي وربط الخرافة والأسطوري بالواقعي، كل هذا استدعى اهتمامي وكان كفيلاً بان يدفعني حباً وشغفاً، وتطلعاً لمعرفة أغوار وخبايا هذه الرواية بتركيبها اللفظي البسيطة و العميق و المعقد المبنى والشكل من جهة، والهادف المعنى

والدلالة للكلمات وكذا الدلالات الحسية لطريقة كتابة بعد الجمل  
وما يعطي من دلالات جديدة من جهة أخرى .

ومن دوافع اختياري واهتمامي لهذا الموضوع أيضاً محاولة  
الكشف عن مدى تعبير الرواية - عموماً - عن بيئاتها  
المصرية، والعربية المنتجة لها وتفاعلها مع أحداثها التاريخية  
والاجتماعية والانسانية، والواقعية والسياسية، ومضامينها  
الثقافية والحضارية فالرواية بهذا المفهوم يمكن لها أن تحمل  
هوية متفرد في السرد العربي.

### الجزء الرابع:

موقف محمد علي من الحركة الوهابية « طوسون...جئت  
أودعك أماء فأنا ذاهب إلى أرض الحجاز لوأد الحركة الوهابية.  
أمينة هانم...لا تذهب بني فلا ناقة لنا ولا جمل هناك  
طوسون... يا أمي قال لي أبي أن وأد الحركة يجعل الحجاز  
تحت إمرتنا ونؤمن طرق التجارة والحجيج.

أمينة هانم...لا يهم الحجيج في نظر ابيك وما يريد إلا أن  
يضع يده على الأراضي المقدسة لهدف ما وأخاف يا ولدي أن  
يسوقك أبيك إلى حتفك «محمد علي» وموقفه تجاه الحركة  
الوهابية والدفع بالجيش المصري في شبه الجزيرة العربية

«الأراضي المقدسة» فإن لم يخطأ محمد على — في هذا الموقف — لكني أراه يحمل الكثير من المطامع الشخصية في توسيع دولة الحكم وكسب ميزات نتيجة مساومات سياسية، فهو وإن كان الموقف صحيح فقد أريد به المصلحة الشخصية ككلمة الحق عندما يراد بها باطل، وبعيداً عن الجدل السياسي ما بين مؤيد ومعارض لموقف محمد على فسهولة السرد تجعلنا نطوق للمزيد نسترسل في القراءة حتى ينتهي الفصل دون شعور وذلك للأسلوب السهل في العرض وحرفية الكاتب في التشويق، وقد كنت كثيراً أشفق على الكاتب من كثرة الشخصيات في الرواية لكنه دائماً يثبت أنه يملك أدوات الإبداع بأسلوبه البسيط العميق والسهل الممتع.

وقد أعجبنى حقاً في هذا الفصل أيضاً العودة للكرامات التي قد نوه عنها أنفاً في الفصل الخامس إن لم تخني الذاكرة عندما قال على بك قبل أن يصل بوبات القاهرة القديمة بمسافة « بسم الله لا حول ولا قوة الا بالله » فتجاوز البوبات هو وناصر والآن أم ناصر تختفي وزوجة على بك وأولادة من غرفة التي كانت مخصصة للعبادة بما فيها من متاع، أسرة بكاملها من الأولياء المخلصين فلا تعطي الكرامة إلا لصاحب يقين قوي في الله تعالى،

تأمل معي ما بعد المذبحة وعودة علي بك وناصر إلى رشيد  
ليدخل من أبوابها كتجار للإطمأنان على ذويهم وبالسؤال عنهم  
يقول الكاتب الروائي هنا:

«علي بك...ماذا حدث الرجل...دخلت زوجتك وأبنائك إلى  
غرفتك التي كنت تخصصها للعبادة، علي بك وأغلقوا الأبواب  
وحاول الجند كسر الباب لكن السيده أم ناصر قالت انتظروني  
سأدخل لهم وأمهلوني أخرجهم لكم».

ناصر... معقول أمي تسلمهم بأيديها لجند محمد علي؟

الرجل.... هذا ما حدث وقلنا مثلك. كيف ستفعل السيده  
أم ناصر ذلك وهي من تخاف عليهم من النسيم ضحك علي  
بك لشيء في نفسه وكأنه مطمئن وقال للرجل أكمل الرجل....  
دخلت أم ناصر وأغلقت الباب ورائها وغابت لفته طويله فقرر  
الجند كسر الباب والقبض على من بالداخل ولكن عندما  
تهيأوا لكسر الباب مد أحد الجنود يده على الباب فانفجر  
الباب فدخلنا فلم نجد بالغرفة أي شيء.

ناصر...هربت أمي وزوجة علي بك والأولاد.

الرجل....اختفوا بل واختفى كل شيء في الغرفة.

علي بك صامت ومبتسم ناصر... هل خرجوا من باب خلفي.

الرجل...علي بك يعلم أن هذه الغرفة ليس لها مخرج أو مهرب.

سكت ناصر فقد علم ما حدث وبدأ يربط بعض الخيوط ببعضها. أبيه مجذوب وأمه يعرفها جيداً تقيّة ورعة صوامة قوامة ويعلم جيداً من هو عليّ بك)

الشاعرية السردية بين الدلالات الفنية والفكرية والتاريخية والإشكالية التي أسعى إلى استقصائها هنا تتجلى في عدة أسئلة جوهرية كما يلي: ما هي مكامن الشعرية السردية في رواية ((قلوب لا تعرف الخوف))؟ وما هي دلالاتها الفنية والفكرية والتاريخية؟ ما دلالة الفضاءات الزمانية والمكانية في رواية ((قلوب لا تعرف الخوف))؟ وما علاقتها بالمعرفة الفكرية والبنية اللغوية المسبوكة؟ وفي حقيقة الأمر إنني أسعى دائماً للبحث عن علاقة البنية السردية للخطاب اللغوي والفكري داخل الرواية وعلاقته بالشعرية العربية، وسوف يتضح لنا أن لغة الرواية عموماً - و((قلوب لا تعرف الخوف)) خصوصاً - هي عمل فني سردي لنقد التاريخ والفكر من جهة كما أنها تصوير للمجتمع والدولة آن ذاك من جهة أخرى. فالرواية

عبارة عن سلسلة من العناصر الدالة، التي تشكل نسقاً فكرياً يهدف إلى كشف القيود الفكرية والاجتماعية والتاريخية وكذا الكشف وإظهار المعتقدات والقيم التي يؤمن بها أفراد المجتمع، بل والإنسانية قاطبة. وتتفرع الإشكالية الجوهرية التي أحاول تتبعها هنا إلى إشكالات فرعية يمكن صياغتها كالتالي:

هل يمكننا اعتبار الرواية خطاب أيديولوجي وحضاري؟

ويمكن كذلك أن نتبع مسار الرواية في ترابطها الأيديولوجي

والتاريخي الفكري؟

وكذا يمكننا أن نجزئ العمل من خلال طرح جملة من

الأسئلة الجزئية التي تبين لنا الأدوار الأساسية التي تلعبها

الرواية في التأطير اللغوي والفكري للثقافة العربية ومنها:

ما هي الحدود الفاصلة بين الرمزية والتاريخية والإيديولوجية

في الرواية؟

وما علاقة الثقل الأسطوري والخرافي الذي تحمله الرواية

بالمفهوم الحضاري والواقعي والتاريخي؟

وما دلالة انغلاق المكان والزمان في الرواية؟

وما الدور الذي يلعبه عنصر التناص في الرواية؟

وكيف يضيفي عنصري الإبهام والغموض الشعري داخل

الرواية؟

## الجزء الخامس والأخير:

مقطع من الفصل العاشر لرواية ((قلوب لا تعرف الخوف))

((علي بك...بعد انتصارات طوسون يا ناصر توغل إلى وسط نجد فاجتمع عليه أهل نجد وحاصروه وقد حملت أمانة من أمينة هانم أم طوسون بأن أعيده هنا سكت ناصر ولم يسأل كيف حمل الأمانة فهو أصبح على يقين بأن هنا حلقة وصل خفية عليه بين أبيه المجذوب وأمه وأمينة هانم وعلي بك أنه سر يشعر به ولكنه يعلم أن الأسرار تبقى أسرار.

ولما أحس علي بك بأن ناصر نضج ذهنيًا ويحفظ السر بدأ يتكلم معه دون خشية أو تكلف في أسراره لعلمه أن ناصر لن يسأل كيف يعلم علي بك كل هذا ومن أين يأتي بالأخبار فقال له: علي بك...أتعلم يا ناصر طوسون باشا محاصر وقد أُصيب وهُزم جيشه الآن.

ناصر...وماذا نفعل؟

علي بك..سوف نعود به إلى القاهرة.

ناصر..... كيف علي بك؟

علي بك....لا يهم كيف المهم الآن أن نذهب لزيارة الحبيب في قبره ناصر...((صل الله عليه وسلم)) (( يستمع ناصر إلى كلام علي بك السلانكي و وسط إطلاق النار نري جواد علي بك يسترجع الزكريات ويتأهب لخوض المعركة وها هو يبذل قوائمه بانتظام وكأنه ينتظر الإشارة من علي بك وبالفعل علي بك يطلق العنان للجواد فينطلق و ورائه ناصر على ظهر جواد اخر يلحق به ويشق الجوادان. الصفوف ويحدثوا ثغره ينسلوا منها إلى قلب المحاصرين ويردد علي بك كلمات يرددها ورائه ناصر كأن ناصر تعود على ذلك علي بك..... باسمك اللهم..... باسمك اللهم...باسمك اللهم ويخترق الفارسان علي بك وناصر إلى قلب الحصار وسط النيران والبارود بسم الله ولم يستطع أحد إصابتهم، يتوجه علي بك إلى خيمة وكأنه يعرف من بداخلها فيجد قائد الجيش طوسون مصاب طريح الفراش))

لنتأمل هذا الجزء من الفصل العاشر وما فيه من تواصل روحي بين علي بك سلانكي و أمينة هانم أم طوسون و ابراهيم باشا زوجة محمد علي والرسائل الغامضة التي تُرسل وتستقبل دون آليات اتصال ولا قنوات لها غير الأرواح النقية والقلوب العامرة بالإيمان قل إنها الأرواح تخفق أينما حلت وطاب لها

الهوى جند مجندة يآلف بينها الرحمن مهما تباعدت المسافات بينها فهي موصولة بخيوط من نور ترى بنور الله تصدق ما تري بيقين العارفين وكأنها على بينة من أمرها تخترق العادات والحواجز المكانية والزمانية بكرامات لا تعطى إلا للأنبياء والأولياء الصالحين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

من أهم الميزات التي تميزت بها رواية ((قلوب لا تعرف الخوف)) في طرحها الذكي والفني الذي اعتمد فيه رفيق أبو الحسن أسلوباً مزجاً فيه بين السردية القصصية والشعرية التأثيرية،

ورغم سلاسة السرد إلا أنه يترك العنان للقارئ ليستنبط ما بين التلميح والتصريح ويترك مساحة من الغموض يفسرها القارئ حسب السياق الدرامي للأحداث الجارية.

وهنا يظهر أهمية السرد في الرواية العربية، وإزالة الستارة عن حقبة من سيطرة الشعر المقفى والموزون، والسمو بمفهوم الشعرية الذي لم يعد حكراً على النصوص الشعرية فحسب، بل إنه أكثر جلاءً في الرواية لتحرير الروائي من قيود الكتابة الشعرية العمودية والانطلاق في وعي الكتابة التي تتجلى في شعرية السرد الروائي.

## الفصل الأخير:

(( تمر الأيام وقد استقرت الأحوال لمحمد علي ولكن تشوبها خلافات مع ابنه ابراهيم بك الذي تعلم من كل ما سبق فاصبح ضد اراء ابيه وقد اشيع ان محمد علي يرى أشياء لم تحدث فهو دائماً يرى السلانكي في حديقة القصر مع أمينة هانم يتحدثان ويشهد جميع الحرس بأن أبواب القلعة مغلقة وأمينة هانم لا تترك غرفتها.

وفي يوم دخل علي السلانكي إلى خلوته بالأسكندرية وكالعادة يقف ناصر على باب الغرفة حتى لا يدخل عليه أحداً لعلم ناصر أن ما بداخل غرفة الخلوه سر لا ينبغي لأحد معرفته علي السلانكي بداخل الغرفة بعد أن أغلقها...بسم الله لا حول ولا قوة الا بالله يتغير المشهد إلى غرفة أمينة هانم والمشهد هي على فراش الموت يقف بجانب السرير سيدي علي الذوق وسيدي ناصر السلانكي وسيدي نصر ولكن بدون بالمبخره المعتاده ولا ملابس المجاذيب ولكن بلباس أبيض جميعاً يلتفون حول أمينة هانم تلك التقية الورعة وهي تحتضر فدعوا لها بالجنان والحقاق بحبيب الرحمن فخرجت روحها الزكية وهنا دخل محمد علي الغرفة بعد أن أعلمته إحدى الخاديمات بأن أمينة هانم تحتضر فرأى الجمع فالتفت يصرخ على الحراس،

وعندما أتى الحرس لم يجدوا أحداً علي الإطلاق وجاء وقتها إبراهيم باشا علي صوت الصراخ ليجد أمه قد فارقت الحياة ويتأكد بأن أبيه قد كبر وخرف ((

لسهولة السرد عبق المتميز ونكهة خاصة ولعمق المضمون بصمة فريدة تؤثر الأرواح والنفوس فتتعلق بكل ما هو جميل وممتع ومفيد، ولقد كنا نتطوق للمزيد لجمال السرد وسلاسة وانسياب الأحداث وعمق الفكرة والمضمون، والتي توضح شخصية الكاتب في التبسيط لأحداث التاريخ وما فيها من معلومات جديدة قد لا يعرفها الكثير، وكذا ما يملكه الكاتب من مقومات الإبداع.

ويتضح هنا في رواية ((قلوب لا تعرف الخوف)) أهمية السرد في التعبير عن الإرث الحضاري والثقافي وعلاقته بالبيئة المصرية والعربية وأجوائها (السياسية - التاريخية). وكذا فهم الروابط الإنسانية من (سياسية وتاريخية و واقعية) وعلاقتها ببعضها البعض من خلال محاولة فك رموز الإنساق الدلالية الرمزية وعلاقتها بمناحي الحياة الإنسانية في أوج حالاتها الروحانية في رواية ((قلوب لا تعرف الخوف)).

وكذا يتبين لنا خصائص السرد الروائي، الفنية واللغوية والتاريخية والثقافية والحضارية وكذا الخرافية والأسطورية

وعلاقتها بالسمو الأدبي الإبداعي العربي بوجه عام والمصري بوجه خاص، واثبات قدرة الراوية — في شخصية الراوي — على استيعاب الرصيد المعرف والثقافي والتاريخي للمجتمع وكذا توظيفه والمرور به من جيل إلى جيل أو بعبارة أخرى إثبات قدرة السرد الروائي في اختراق لحدود الزمان والمكان وهي ما يطلق عليها (( الحدود الزمكانية )) والتحلي بالقدرة السامية الناجمة عن مزج التاريخي بالواقعي والارتقاء بأدبية النص إلى شعريته في شكل تلميح خيالي مشار إليه في بعض الشخصيات يشارك القارئ في إنتاجه واستتباط ما تؤول إليه من كرمات لهذه الشخصيات المعنية بالتلميح في بعض المواقع .

ولأن الظاهرة الأدبية الشعرية في الرواية متعددة الجوانب و الزوايا تعددت المناهج على حسب ما تقتضيه طبيعة زاوية الرؤية و بحسب الأهداف المرجوة من النقد، وهي شعرية السرد الروائي في رواية ((قلوب لا تعرف الخوف)) وقد تم اعتماد المنهج البنيوي لأنه الأنسب لمعرفة خفايا البنية اللغوية و التركيبية المسبوكة في الرواية، كما تم الاستعانة بالمنهج الأسلوبي لما في الرواية من صور بلاغية، وانزياح للكلمات عن دلالتها المعجمية، وكذا التراكيب المتراسة فيما بينها والتي تعطي دلالات أكثر عمقاً .

يرى بعض النقاد أن استعمال أكثر من منهج واحد في النقد والتحليل قد يكون مزلقاً خطيراً للنقاد أقول نعم ولكن بشرط وهو إذا لم يحسن التعامل مع آليات مناهجه و يحسن توظيفها وفق احتياجاته المتركزة على الأهداف المرجوة من النقد وعلى العموم فإن المزاوجة بين المناهج وتعددتها من شأنها الكشف عن مزايا النص المدروس وخبائاه الغامضة وهذا ما تم إستهدافه من خلال القراءة والتحليل لرواية ((قلوب لا تعرف الخوف)) ،  
شكري الخاص للكاتب الروائي القدير رفيق أبو حسن على هذا الجهد المبذول وامتثاني له أن منحني شرف القراءة والتعليق على هذه الرواية قبل الطبع وتمنياتى له بمزيد من الإبداع والرقى في أعمال قادمة بإذن الله .

**الشاعر / سيد فاروق**





مقطّفات من كتاب ((العجائب والآثار في التراجم والأخبار))  
للمؤرخ عبد الرحمن بن حسن برهان الدين الجبرتي وشهرته  
الجبرتي (١٧٥٦ - ١٨٢٥) حيث تبرز أهمية شهادته كرجل عاصر  
أحداث مذبحة القلعة.

ونلاحظ أنه وصف المماليك بالمصرية وهذا دليل أن  
المماليك أبناء بلد وليسوا أجانب عنها بل الأجنبي من جاء من  
الإستانة والجنود الألبان والأرناؤوط.

إذ قال الجبرتي في كتابه ما يلي نصه

واستهل شهر صفر الخير بيوم الأحد سنة ١٢٢٦ هجرية

فلما أصبح يوم الجمعة سادسه ركب الجميع وطلعوا إلى  
القلعة وطلع المصرية بمماليكهم وأتباعهم وأجنادهم فدخل  
الأمرء عند الباشا وصبحو عليه وجلسوا معه حصة وشربوا  
القهوة وتضاحك معهم.

ثم أنجر الموكب على الوضع الذي رتبوه فأنجر طائفة  
الأدلة في البداية وأميرهم المسمى أزون علي ومن خلفهم الوالي  
والمحتسب والوجاقلية والألداشات المصرية ومن تزيبا بزيهم ومن  
خلفهم طوائف العسكر الرجالة والخيالة والبيكباشيات وأرباب  
المناصب منهم إبراهيم آغا آغات الباب وسليمان بك البواب

يذهب ويجيء ويرتب الموكب وكان الباشا قد بيت مع حسن باشا وصالح قوج والكتخدا فقط غدر المصرية وقتلهم وأسر بذلك في صباحها إبراهيم آغا آغات الباب.

فلما أنجر الموكب وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم من الوجاقلية والألداشات المصرية وانفصلوا بالخروج من باب العزب فعند ذلك أمر صالح قوج بغلق الباب وعرف طائفته بالمراد فالتفتوا ضاربين بالمصرية وقد أحصروا بأجمعهم في المضيق المنحدر الحجر المقطوع في أعلى باب العزب مسافة ما بين الباب الأعلى الذي يتوصل منه إلى رحبة سوق القلعة إلى الباب الأسفل وقد أعدوا عدة من العساكر أوقفوهم على علاوى النقر الحجر والحيطان التي به فلما حصل الضرب التحتانيين أراد الأمراء الرجوع القهقري فلم يمكنهم ذلك لانتظام الخيول في مضيق النقر وأخذهم ضرب البنادق والقرايين من خلفهم أيضاً وعلم العسكر الواقفون بالأعلى المراد فضربوا أيضاً. فلما نظروا ما حل بهم سقط في أيديهم وارتبكوا في أنفسهم وتحيروا في أمرهم ووقع منهم أشخاص كثيرة فنزلوا عن الخيول واقتحم شاهين بك وسليمان بك البواب وآخرون في عدة من مماليكهم راجعين إلى فوق والرصاص نازل عليهم من كل ناحية ونزعوا ما كان عليهم من الفراوي والثياب الثقيلة ولم يزالوا سائرين

وشاهرين سيوفهم حتى وصلوا إلى الرحبة الوسطى المواجهة لقاعة الأعمدة وقد سقط أكثرهم وأصيب شاهين بك وسقط إلى الأرض فقطعوا رأسه وأسرعوا بها إلى الباشا ليأخذوا عليها البقشيش وكان الباشا عندما ساروا بالموكب ركب من ديوان السراية وذهب إلى البيت الذي به الحريم وهو بيت إسماعيل أفندي الضريخانة وأما سليمان بك البواب فهرب من حلاوة الروح وصعد إلى حائط البرج الكبير فتابعوه بالضرب حتى سقط وقطعوا رأسه أيضاً وهرب كثير إلى بيت طوسون باشا يظن الإلتجاء به والاحتماء فيه فقتلوههم وأسرف العسكر في قتل المصريين وسلب ما عليهم من الثياب ولم يرحموا أحداً وأظهروا كامن حقدهم وضبعوا فيهم وفيمن رافقهم متجماً معهم من أولاد الناس وأهالي البلد الذين تزيوا بزيتهم لزيئة الموكب وهم يصرخون ويستغيثون ومنهم من يقول أنا لست جندياً ولا مملوكاً وآخر يقول أنا لست من قبيلتهم فلم يرقوا لصارخ ولا شاك ولا مستغيث وتتبعوا المتشبتين والهربانيين في نواحي القلعة وزواياها والذين فروا ودخلوا في البيوت والأماكن وقبضوا على من أمسك حياً ولم يمت من الرصاص أو متخلفاً عن الموكب وجاساً مع الكتخدا كأحمد بك الكيلارجي ويحيى بك الألفي وعلي كاشف الكبير فسلبوا ثيابهم وجمعوهم إلى السجن تحت مجلس كتخدا بك ثم أحضروا أيضاً المشاعلي

لرمي أعناقهم في حوش الديوان واحداً بعد واحد من ضحوة النهار إلى أن مضى حصة من الليل في المشاعل حتى امتلأ الحوش من القتلى ومن مات من المشاهير المعروفين وانصرع في طريق القلعة قطعوا رأسه وسحبوا جثته إلى باقي الجثث حتى أنهم ربطوا في رجلي شاهين بك ويديه حبلاً وسحبوه على الأرض مثل الحمار الميت إلى حوش الديوان هذا ما حصل بالقلعة .

وأما أسفل المدينة فإنه عندما أغلق باب القلعة وسمع من بالرميلة صوت الرصاص وقعت الكرشة في الناس وهرب من كان واقفاً بالرميلة من الأجناد في انتظار الموكب وكذلك المتفرجون واتصلت الكرشة بأسواق المدينة فانزعجوا وهرب من كان بالحوانيت لانتظار الفرجة وأغلق الناس حوانيتهم وليس لأحد علم بما حصل وظنوا ظنوناً وعندما تحقق العسكر حصول الواقعة وقتل الأمراء انبثوا كالجراد المنتشر إلى بيوت الأمراء المصريين ومن جاورهم طالبين النهب والغنيمة فولجوها بغتة ونهبوها نهباً ذريعاً وهتكوا الحرائر والحريم وسحبوا النساء والجواري والخوندات والستات وسلبوا ما عليهن من الحلي والجواهر والثياب وأظهروا الكامن في نفوسهم ولم يجدوا مانعاً ولا رادعاً وبعضهم قبض على يد امرأة ليأخذ منها السوار فلم

يتمكن من نزعها بسرعة فقطع يد المرأة وحل بالناس في بقية  
ذلك اليوم من الفزع والخوف وتوقع المكروه ما لا يوصف .  
ولم يتمكن من النجاة إلا الفارس الشجاع مراد امين بك  
الأرناؤطي وشهرته أمين -





## الصفحة

## الفهرس

٥	.....:مقدمة
٧	.....:الفصل الأول
١٣	.....:الفصل الثانى الدرب الأحمر
٢١	.....:الفصل الثالث حسن الذوق
٢٧	.....:الفصل الرابع ليسوا مصريين
٣٥	.....:الفصل الخامس أشباح الممالك
٣٩	.....:الفصل السادس البركة تودع المحروسة
٤٧	.....:الفصل السابع تصحيح التاريخ
٦١	.....:الفصل الثامن رحلة إلى الله
٦٩	.....:الفصل الأخير نهاية ظالم

حقوق الطبع محفوظة للناشر



أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامي

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء  
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع  
إلى الناشر